المورد

إعراب القرآن للنحاس .. منهج وحركة

بقلم الدكتور
أحمد صيف الجنابي
كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية

تمثل مؤلفات النحاس (ت ٣٣٨هـ) بمجموعها ثمرة معارف عصره . فقد الف في اللغة وفي النحو وفي علوم القرآن والفقه والحديث . وهو معدود في المفسرين اذ ترجم له « الداودي » في « طبقات المفسرين »(١) . وهو مقرىء متقن ترجم له الامام « الداني » في كتابه : « طبقات القراء »(٢) . وسماه في كتابه « المفردات السبع » : « النحاس الكبير »(٣) .

اولاً ـ أهمية « اعراب القرآن »

اما كتابه « اعراب القرآن » فهو من مؤلفاته التي بلغت من الاتقان والدقة واستيعاب الآراء ومناقشتها والقدرة على الابداع والاصالة ، حدا كبيرا . ولذلك صار كتابه « قدوة » في بابه ومثالا يحتذى ، واصبح مصدرا لجل الباحثين في مجال اعراب القرآن وما يتصل بتفسيره من قضايا اللغة والنحو ، لانه

(١) مصدر ثر لآراء جماعة من اللغويين والنحاة الذين ضاعت بعض كتبهم او معظمها او كلها ، امثال : الخليل (ت ١٧٠ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) والاخفاش الثلاثة ، ومحمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) ، وابن كيسان النحوي (ت ٣٢٠ هـ) ، وغيرهم.

(٢) انه مصدر من مصادر اللهجات العربية المهمة . وكل باحث في هذا الموضوع لا يرجع الى هذا الكتاب ـ وهو يريد استقصاء اللهجات ـ فبحثه « ابتر » .

(٣) انه مصدر من المصادر الباقية في نحو القراءات ولغاتها. ويعد اول كتاب شامل وصل الينا في تعليل القراءات وشرحها والبسط في عللها بحيث لا يترك قراءة مشهورة ، واحيانا غير مشهورة ، الا نادرا . فهو اسبق من كتاب « الحجة » لابي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) . اما كتاب « معاني القرآن » للفراء فهو سابق من حيث الزمن ، لكنه يقصر عن كتاب اعراب القرآن للنحاس من هذه الناحية كثيرا ..

والغرض من البحث الاقتصار على اعراب القرآن.. من حيث وصفه ، ومنهجه ، ومصادره ، والحركة الفكرية التي احدثها من وقت ظهوره في القرن الرابع الهجري الى قرون عديدة اذ تاثر به جماعة من الباحثين في اعراب القرآن او في تفسيره . وسانقتصر على اثنين منهم : واحد من اصحاب « الاعاريب » وهو ابو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) وواحد من المفسرين وهو القرطبي (ت ٦٧١ هـ) .

وفي عصرنا تنبه الى اهمية اعراب النحاس جماعة من العلماء والباحثين(٤) . وهذا البحث مهدى اليهم والى جميع القائمين على معهد المخطوطات في القاهرة والى اصدقائي في دار الكتب المصرية . تقديرا لجهودهم في خدمة كل طلاب العلم ، ومشاكله .

وارجو ان يكون هذا البحث اول دراسة شاملة الى حد ما عن « اعراب القرآن » من حيث : اهميته ، ووصفه ،ومنهجه، واثره في الحركة اللغوية والنحوية ..

ثانياً ـ وصفه

يتناول هذا الكتاب اعراب القرآن من « البسملة » التي تسبق « الفاتحة » .. الى آخر « سورة الناس » .

والمطلع على الكتاب يرى انه لم يتناول كل الآيات بل ترك بعضها ، اما لانه سيتناول ما يشبهها في الاعراب واما لانها بسيطة ليس فيها اشكال بحيث يفهمها المتعلم قبل العالم ، واما لانه ليس فيها اختلاف بين اللغويين او النحاة .

وهو كتاب ضخم يتالف من (٣٢٥ ورقة) في نسخة (مكتبة فاتح) المرقمة (٨٨) . وتوجد منها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات برقم (١٥ تفسير) . كما توجد من الكتاب نسخة اخرى محفوظة بالمكتبة العمومية بالاستانة برقم(٢٤٥)،ومصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٩٦٦٧ب) ، ومصورة بمعهد

(١) طبقات المفسرين ٦٧/١ .
(٢) بغية الوعاة ٣٦٢/١ (وطبقات القراء ، لابي عمرو الداني المتوفى ٤٤٤هـ ، هو مفقود الآن) .
(٣) المفردات السبع / ٩ .

(٤) استفاد منه استاذنا الدكتور عبدالله درويش في بحثه عن « النحاس » المنشور في مجلة كلية الشريعة ، العدد الثالث سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ . واستفاد منه الزميل احمد خطاب في دراسته التي قدمها لتحقيقه كتاب « شرح القصائد التسع المشهورات » للنحاس . وسجله الزميل زهير غازي زاهد ، رسالة دكتوراه بكلية آداب القاهرة باشراف الاستاذ الدكتور شوقي ضيف .

المخطوطات تحت رقم (١٤ تفسير) وتوجد منه نسخة ثالثة ناقصة محفوظة بالمكتبة العمومية بالاستانة (برقم ٢٤٦) ، ويظهر انها مكتوبة في القرن الثامن الهجري ، ومنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (برقم ١٩٦٦٨ ب) في (١٧٨ لوحة) ،وتبتديء بسورة « غافر » وتنتهي بسورة « والماديات » ، ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات (تحت رقم ١٧ تفسير) . وتوجد نسخة رابعة ناقصة ايضا ، وهي من مخطوطات الدار (ورقمها ١٧٨ تفسير ـ تيمور) ، الموجود منها الجزء الثالث فقط ، ويبدا بسورة « يس » وينتهي بآخر « سورة الناس »(٥) .

وعلى نسخة فاتح المصورة بمعهد المخطوطات كان اعتمادي لانها اقدم النسخ (فهي مكتوبة سنة ٥٩٩هـ) ، واوضحها واكملها ، وتكاد تكون كل كلماتها مضبوطة بالشكل .

وقد ذكر الكتاب للنحاس جماعة ممن ترجموا له . واول من ذكره ابو بكر(٦) الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) ، وهو معاصر ومواطن تلميذ النحاس المعروف بالرباحي (ت ٣٥٤ هـ) وذكره ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ) في ترجمة « المعافري » (ت ٣٧١هـ) تلميذ النحاس ، واول من نقل « اعراب القرآن » الى الاندلس(٧) . ومعنى هذا ان الكتاب نقل الى الاندلس في حياة مؤلفه(٨) . ثم ذكره « ياقوت »(٩) وبعده « القفطي » وابدى رايا فقال : « وله في القرآن مصنفات منها : كتاب الاعراب وكتاب المعاني وهما كتابان جليلان اغنيا عما صنف قبلهما في معناهما »(١٠) . ولكن هذا الوصف يتناسب تماما مع«الاعراب» ولا يتناسب مع « المعاني » .

ثالثا ـ منهجه

بيّن النحاس في مقدمة كتابه « اعراب القرآن » اصول منهجه فقال : (هذا كتاب نذكر فيه ـ ان شاء الله ـ اعراب القرآن والقراءات التي تحتاج ان يبين اعرابها والعلل فيها ، ولا اخليه من اختلاف النحويين وما يحتاج فيه من المعاني وزيادة في المعاني وشرح لها وما اجازه بعضهم ومنعه بعضهم من الجموع واللغات ونسب كل لغة الى اصحابها .. »(١١) .

فالخطوط العريضة لمنهجه هي :

(١) ايضاح الاعراب وما شاكله

معنى الاعراب : الاعراب لغة الايضاح والبيان(١٢) . اما في اصطلاح النحاة فقد وقع فيه الاختلاف ، وهذا الاختلاف يرتبط تماما بالحركات الثلاث وما يتولد منها من الف وواو وياء ، اذ ان هذه الحروف هي حركات طويلة ..

ويرتبط هذا الاختلاف بمفهوم النحو اهو الاعراب نفسه ام لا ؟

اما بالنسبة لمسالة ارتباط مفهوم الاعراب بالحركات فيرجع الى ان بعض النحاة يرى ان الحركات لا تدل على معان اعرابية ، وهو راي ينسب الى قطرب (ت ٢٠٦ هـ) ، وهو القائل : (انما اعربت العرب كلامها لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف لها فلو جعلوا وصله بالسكون ايضا لكان يلزمه الاسكان في الوصل والوقف ، فكانوا يبطئون عند الادراج ، فلما وصلوا وامكنهم التحريك جعلوا التحريك مطالبا للاسان ليعتدل الكلام »(١٣) . ويرى رايه من المحدثين الدكتور ابراهيم انيس(١٤) . ورايه واضح في ابطال الاعراب وفي التوسع على كل قائل ان يحرك كما شاء في كل موضع . ولو كان الامر كما قال لجاز جر الفاعل مرة ورفعه اخرى او نصبه ، وجاز نصب المضاف اليه ، لان القصد في هذا انما هو الحركة تعاقب سكونا ليعتدل بها الكلام فاي حركة اتى بها المتكلم اجزاته. « وهذا فساد للكلام وخروج من اوضاع العرب »(١٥) .

كما ان الوقف والادراج في الكلام يعتمد اساسا على المعاني المرتبطة بالفاعل والمفعول والمضاف والمضاف اليه والاخير مرتبطة بالحركات ارتباطا واضحا ، ولهذا لا يجوز ان يوقف على مبتدا دون خبره ولا على الفعل دون الفاعل ولا على المضاف دون المضاف اليه ولا على المستثنى منه دون المستثنى »(١٦) .

والقسم الاخر من النحاة يرى ان الحركات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعنى وهو راي اكثر العلماء . وهو راي ينسجم تماما مع واقع العربية التي وصلت الينا في النصوص الموثوق بصحتها لا سيما نصوص القرآن الكريم .

ويرى بعض النحاة ان النحو هو الاعراب(١٧) ، لكنه راي غير دقيق ، اذ الاعراب ما هو الا جزء من النحو وبينهما عموم وخصوص ، فالنحو يشتمل على الاعراب والعكس ليس صحيحا.

ويعرف « ابن جني » النحو تعريفا دقيقا بقوله : « النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره ، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك »(١٨) .

اما مفهوم الاعراب عند النحاس فهو الحركات وما يتولد منها وما يرتبط بها من المعاني ، ولهذا يهتم بهذه القضية اهتماما واضحا ويعطيها اكثر مما يعطي غيرها من القضايا النحوية .

ففي اعراب « الحمد لله » من « سورة الفاتحة » قال : (الحمدُ : رفع بالابتداء على قول البصريين . وقال الكسائي : الحمد : رفع بالضمير الذي في الصفة . والصفة الام بمنزلة الفعل . وقال الفراء : الحمد : رفع بالحمل وهو الام . جعل الام بمنزلة الاسم لانها لا تقوم بنفسها . وقرا ابن عيينة ورؤبة ابن العجاج : « الحمدَ لله » على المصدر ، وهي لغة قيس

---

(٥) وتوجد منه نسخة في فهارس دار الكتب المصرية برقم ٤٨ تفسير ، ولكني لم استطع الاطلاع عليها ، رغم محاولاتي المتكررة . فلعلها ضاعت .

(٦) طبقات الزبيدي / ٢٣٩ .

(٧) تاريخ علماء الاندلس ٨١/٢ وعنه نفح الطيب ٤١٩/٢ .

(٨) فهرسة ابن خير/٦٥ .

(٩) معجم الادباء ٢٢٨/٤ .

(١٠) انباه الرواة ١٠١/١ .

(١١) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب .

(١٢) اللسان (عرب) ٧٨/٢ .

(١٣) الزجاجي : الايضاح في علل النحو / ٧٠ .

(١٤) من اسرار العربية / ١٤٢ .

(١٥) الايضاح في علل النحو / ٧١ .

(١٦) بحثنا للدكتوراه : الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشاتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري/٢٢٣-٢٢٥.

(١٧) حاشية الصبان على الاشموني ١٦/١ .

(١٨) الخصائص ٣٤/١ .

والحارث بن سامة . والرفع اجود من جهة اللفظ والمعنى ، فاما اللفظ فلانه اسم معرفة خبرت عنه ، واما المعنى فانك اذا رفعت اخبرت ان حمدك وحمد غيرك لله جل ثناؤه واذا نصبت لم يعد حمدك نفسك . وحكى الفراء : الحمدِ لله والحمدُ لله. قال ابو جعفر(١٩) : سمعت علي بن سليمان(٢٠) يقول : « لا يجوز شيء من هذا عند البصريين » . قال ابو جعفر : وهما لغتان معروفتان وقراءتان مرويتان ، في كل واحدة منهما علة . روى اسماعيل بن عياش عن زريق عن الحسن(٢١) انه قرا : « الحمدِ لِلّه » وقرا ابراهيم بن ابي عبلة : « الحمدُ لَلّه »، وهذه لغة بعض بني ربيعة والكسر لغة تميم . فاما العلة في الكسر فان هذه اللفظة تكثر في كلام الناس والضم ثقيل ولاسيما اذا كان بعد كسرة فابدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شيء واحد . والكسرة مع الكسرة اضعف ، وكذلك الضمة مع الضمة ، ولذلك قيل : الحمدُ لَلّه)(٢٢) .

وواضح من هذا انه يهتم بكل ما يتصل بالحركات وما يترتب عليها من معان اعرابية متصلة بالمعنى ، ومتعلقة بالاطراد والشذوذ . فقوله تعالى : (ويل للمطففين) ، تعرب فيه (ويل: مبتدا مرفوع . وللمطففين خبره . ويجوز النصب في غير القرآن ، لان ويلا بمعنى المصدر ، وكان الاختيار الرفع لانه لم ينطق منه بفعل الا شاذا ، انشده محمد بن الوليد وهو :

فمـا وال ولا واخ ولا واش ابو هنـد

فان كان مشتقا من فعل فالاختيار النصب عند النحويين ، نحو : بؤسا له . وان لم تات بالخبر في الاول نصبت ،فقلت: ويله ووبحه)(٢٣) .

وهو يطلق « مشكل الاعراب » على ما عسر فيه فهم الرابطة بين الحركات وما يتصل بها من معان . ففي اعراب قوله تعالى : « اويلبسكم شيعا » (الانعام آية ٦٥) ، قال : روى عن ابي عبدالله المدني : اويلبسكم بضم الياء . اي : يجللكم العذاب ويعمكم به . وهذا من اللبس بضم اللام . والاول اللبس بفتحها . وهو موضع مشكل الاعراب نبينه قبل التقدير اويلبس عليكم امركم فحذف احد المفعولين وحرف الجر . كما قال جل وعز : « واذا كالوهم او وزنوهم »(٢٤) . وهذا اللبس بان يكون بطلق لبعضهم ان يحارب بعضا او يريهم آية يتفرقون عندها فيصيرون شيعا . وشيعا منصوب على الحال او المصدر)(٢٥).

واذا اتصل اختلاف القراء بالمعاني الاعرابية بسطه وبينه تبيينا كليا . فعند قوله تعالى : « فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب فانه غفور رحيم » (سورة الانعام : ٥٤) ، ذكر قراءة من قرا انه فانه بفتحهما جميعا وقراءة من كسرهما جميعا . وقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية . وقراءة من قرا بكسر الاولى وفتح الثانية . ثم بين اتصال هذه القراءات بالمعاني الاعرابية فقال : (فمن فتحهما جميعا جعل الاولى بدلا من الرحمة او على

(١٩) ابو جعفر هو النحاس .
(٢٠) علي بن سليمان هو الاخفش الصغير (المتوفى ٣١٥هـ) .
(٢١) الحسن هو البصري الامام المعروف (المتوفى ١١٠هـ) .
(٢٢) اعراب القرآن لوحة ٢ : أ-ب .
(٢٣) اعراب القرآن لوحة ٣٠٦ : ب .
(٢٤) سورة المطففين آية ٣ (وتقدير الكلام : واذا كالوا لهم او وزنوا لهم) .
(٢٥) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : أ .

اضمار مبتدا . اى : هي كذا والثانية مكررة عند سيبويه . كما قال جل وعز : « لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » . وقال جل وعز : « ان الذين امنوا والذين هادوا .. ثم قال بعد : « ان الله يفصل بينهم » قال ابو حاتم : ان الثانية في محل رفع بالابتداء . اي فالمغفرة له . وقال بعض النحويين : « يجوز ان تكون الثانية في موضع رفع . على اضمار مبتدا ». اي : فالذي له ان الله غفور رحيم . ومن كسرهما جميعا جعل الاولى مبتداة وجعل كتب بمعنى قال . وكسر الثانية لانها بعد الفاء في قول بعضهم لانها جواب الشرط . ومن كسر الاولى وفتح الثانية جعل الاولى كما قلنا ، وفتح الثانية على اضمار مبتدا . ومن فتح الاولى وكسر الثانية جعل الاولى كما ذكرنا فيمن فتحهما جميعا . وكسر الثانية على ما يجب بعد الفاء . فهذه القراءة بينة في العربية)(٢٦) .

وكثيرا ما تدفعه الرغبة في تقصي الاعراب الى ذكر جميع وجوهه المحتملة جالبا في ذلك الاقاويل ومجتهدا في التحليل ليصل الى اقصى غاية ممكنة من تلك الوجوه الاعرابية ، فيكون الاسم جائز النصب والرفع والخفض ، ولكل وجه وطة. فالاسم الموصول في قوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » (سورة البقرة آية ٣) ، يكون (في موضع خفض نعت للمتقين- لان سياق الآيات جاء هكذا : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » - ويكون نصبا بمعنى اعني ، ورفعا من جهتين : بالابتداء ، والخبر لاولئك على هدى من ربهم ، وعلى اضمار هم يؤمنون بالهمز)(٢٧) .

(٢) بيـان اختلاف النحويين

اهتمام النحاس بالاختلافات النحوية ياتي من ولعه بالمناقشة لانه صاحب عقلية ناضجة لا تقبل آراء الآخرين دون فحص ، كما ان له سببا آخر هو حبه للتقصي والتتبع واستيعاب الآراء في المسالة الواحدة . فهو يهتم بآراء امثال محمد بن ولادالتميمي (ت ٢٩٨هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) وعلي بن سليمان (ت ٣١٥) وابن كيسان (ت ٣٢٠هـ) ، بحيث نستطيع ان نستخلص جل آرائهم النحوية من هذا الكتاب(٢٨) .

وموقفه من آراء هؤلاء العلماء وغيرهم موقف العالم المتميز في دراية ، فهو يخضع كل راي لمنهجه ، ويناقشه احياناويقبله احيانا او يضعه في سياق يفهم منه القبول او الرفض .ويتخذ هذا الموقف في اكثر كتبه . فقد ناقش في « اعراب القرآن » راي استاذه علي بن سليمان الاخفش، لان هاتين القراءتين مرويتان عن ائمة القراء ومعتمدتان على لغة العرب . فالاولى لغة بعض بني ربيعة والكسر لغة تميم .

ويقف من اساتذته الآخرين هذا الموقف فيقبل من آرائهم بقدر ويرد منها بقدر يتفق مع منهجه ورايه .

اما النحاة الآخرون الذين اورد آراءهم فهم الخليل وسيبويه والكسائي والفراء وقطرب والاخفش سعيد وابوعبيدة وثعلب . وغيرهم .

(٢٦) اعراب القرآن لوحة ٦٦ : ب وتنظر هذه القراءات في كتاب السبعة/٢٥٨ .
(٢٧) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب .
(٢٨) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب ، ٣ : ب ، ٥ : ا ، ٨ : ا ، ٦٧ : ب ، ٦٨ : أ ، ١٢١ : ب ، ٣١٣ : ب ، ٣٢٥ :ب .... الخ .

ويأتي بالدرجة الاولى كل من سيبويه والكسائي والفراء وموقفه هنا يختلف شيئا قليلا عن موقفه من اساتذته ، فللاستاذ حرمة ولرايه مكان حتى لو كان صادرا عن خطا في الاجتهاد ،اما غيره .. فله منزلة اخرى .. هذه واحدة والاخرى ان النحاس يتجاوز هذه المسالة فيتحيّز احيانا لسيبويه ويقسو على الفراء في احيان اخرى .. وسنورد امثلة لذلك توضح ما قصدناه ، ثم نحكم على ذلك الموقف .

فعند الآية الكريمة : « يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : فقال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ... » (الآية ٢١٧ من سورة البقرة) . اورد قراءة عبدالله : « عن قتال فيه » . وقراءة « عكرمة » : عن الشهر الحرام قتل فيه بغير الف ، وكذا : قل قتل فيه كبير . وقراءة الاعرج : ويسالونك ـ بالواو ـ عن الشهر الحرام قتال فيه(٢٩) . ثم قال : (الخفض عند البصريين على بدل الاشتمال. وقال الكسائي : هو مخفوض على التكرير اي عن قتال فيه . وقال الفراء : هو مخفوض على نية « عن » . وقال ابو عبيدة : هو مخفوض على الجوار) . فالآراء حول تعليل خفض كلمة « قتال » أو قتل ، اربعة رأى من سماهم البصريين وهو انه مخفوض على انه بدل اشتمال ورأي الكسائي على انه مخفوض على التكرير اي عن قتال فيه . ورأي الفراء انه مخفوض على نية « عن » ورأي أبي عبيدة انه مخفوض على الجوار .

وقد رفض رأي الفراء ورأي ابي عبيدة بقوله(٣٠) : « لا يجوز ان يعرب شيء على الجوار في كتاب الله جل وعز ولا في شيء من الكلام وانما الجوار غلط . وانما وقع في شيء شاذ وهو قولهم : « هذا جحر ضب خرب » . والدليل على انه غلط قول العرب في التثنية : هذان جحرا ضب خربان . وانما هذه بمنزلة الاقواء . ولا يحمل كتاب الله عز وجل على هذا ولا يكون الا بافصح اللغات واصحها .

ولا يجوز اضمار « عن » لان حروف المعاني لا تضمر والقول فيه انه بدل ، وانشد سيبويه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما(٣٠)

فكيف يجوز رد رأي الفراء برأي سيبويه ؟! اليس هذا من باب التحيز ؟ ثم الم يرد الجوار في كلام العرب في غير هذا المثال الذي اورد سيبويه ايضا ، عن الخليل(٣١) . الم يقل امرؤ القيس :

كان ثبيرا في عرانين وبله
كبير أناس في بجاد مزمل

وكان يجب ان يقول مزمل (بالرفع) لانه نعت للكبير الا انه خفضه على الجوار » . هذا ما قاله النحاس نفسه في «شرح القصائد التسع »(٣٢) . وقد تعسف في الرد عليه كما تعسف في الرد هنا .

ثم ان حجته في ان قولهم : « هذا جحر ضب خرب » ، غلط لانهم يقولون في التثنية : « هذان جحرا ضب خربان »، حجة غير سليمة لان العرب قد يعاملون كلمة في المثنى بطريقة تختلف عن معاملتهم لها في حالة الافراد . فلغة بلحارث بن كعب بناء المثنى على الالف وعليه جاء قوله تعالى : « ان هذان لساحران » (سورة طه آية ٦٣) . ومنه قول المتلمس(٣٣) :

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى
مساغا لنابا ه الشجاع لصمما

وهو ما اقره النحاس نفسه في « اعراب القرآن »(٣٤) .

اما رده رأي الفراء ، فهو منقوض بكلام النحاس نفسه وفي اعراب الآية نفسها التي رد فيها قول الفراء . ففي اعراب قوله تعالى : « قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام .. » عطف على سبيل الله »خفض بعن .. و « المسجد الحرام » عطف على سبيل الله »(٣٥) اليس العطف يقتضي المشاركة في الاعراب والحكم اذا كان بالواو ؟

فرأي الفراء راجح وكذلك رأي ابي عبيدة ، اما رأي سيبويه فمرجوح ؟!

ولو اكتفى بالرد الهادىء لكان للامر ما يبرره .. لكنه يبادر احيانا بالرد على « الفراء »ردا قاسيا . ففي اعراب قوله تعالى : « لله الامر من قبل ومن بعد » (الروم آية ٤) ، قال النحاس(٣٦) : (ويقال لله الامر من قبل ومن بعد) . وحكى الكسائي .. وحكى الفراء من قبل ومن بعد مخفوضتين بغير تنوين وللفراء في هذا الفصل من كتابه في القرآن(٣٧) اشياء كثيرة الغلط فيها بين فمنها انه زعم انه يجوز من قبلِ ومن بعدِ كما قال الشاعر وهو الاعشى :

الا علالة او بدا هة سابح نهد الجزاره

وكما قال :

يا من رأى عارضا ارقت له
بين ذراعي وجبهةِ الاسدِ

والغلط في هذا بين لانه ليس في القرآن لله الامر من قبل ومن بعد ذلك فيكون مثل قوله :

بين ذراعي وجبهةِ الاسدِ

ولا ارى ما يرى النحاس لان القرآن عربي..ويقاس اعرابه وتقاس لغته بلغة العرب وهذا احد اسس المعيارية النحوية واللغوية التي وزن بها النحاس الامور واعرب القرآن بناء عليها .. الم يقل في اعراب « قتال فيه » (من آية البقرة ٢١٧) : « اما قتال فيه بالرفع فمخفض في العربية والمعنى فيه : يسالونك عن الشهر الحرام اجائز قتال فيه ؟ فقوله : « يسالونك » يدل عليه ، كما قال امرؤ القيس :

أصاح ترى برقا اريك وميضه
كلمع اليدين في حبي مكلل

فالمعنى : أترى برقا اريك وميضه « فحذف الف الاستفهام(٣٨) . لان الالف في « أصاح » بدل منها وتدل عليها وان كانت حرفا» . فحجة النحاس مردودة بنص كلامه .

---

(٢٩)ـ(٣٠) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ .
(٣١) شرح القصائد التسع / ١٩٧ .
(٣٢) شرح القصائد التسع / ١٩٧ .
(٣٣) كما في اللسان (صمم) ٢٣٩/١٥ .
(٣٤) اعراب القرآن لوحة ١٣٢ .
(٣٥) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ .
(٣٦) نفسه لوحة ١٦٧ : أ .
(٣٧) يريد « معاني القرآن » للفراء .
(٣٨) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ .

والسؤال الذي يرد هنا : لماذا هاجم الفراء ورد عليه بكثرة ولم يرد على استاذه الكسائي ، مع ان الاخير راس والفراء فرع؟ولماذا يعنف بالرد عليه ولا يعنف بالرد على الكسائي؟. يبدو لي ان رده آت من انه اخذ عنه كثيرا جدا ، بحيث استوعب كتابه « معاني القرآن » وكتبه الاخرى في الدراسات المقاربة مثل « لغات القرآن » ، صحيح انه يورد اسم الفراء كثيرا ، ولكنه قد ياخذ منه ولا يشير اليه في احيان اخرى ..

(٣) بيان القراءات وتعليلها لغويا ونحويا

النحاس احسن صورة للمزج بين منهج النحاة التقليديين الذين يرفضون القراءات القرآنية بالقياس ، ومنهج القراء الذين ياخذون بالقراءات ولاسيما اذا كانت عن الائمة المشهورين، ولا يرفضون شيئا منها ، ما دامت ثابتة بالتواتر، كالقراءات السبع والعشر .

اما الفريق الاول فمنهم كثير ولعل اشهرهم سيبويه والمازني والمبرد وعلي بن سليمان الاخفش وابن جني ، الذين رفضوا حتى بعض القراءات المتواترة مثل قراءة « نافع بن ابي نعيم » (ت ١٦٧ هـ) : « وجعلنا لكم فيها معائش » ، بحجة ان همزة « معائش » خطا(٣٩) .

وفي كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد امثلة واضحة على هذا الاتجاه . وقد اوردنا لعلي بن سليمان مثالا . اما منهج القراء فتمثله كتب القراءات .. وما اكثرها .

اما النحاس فان منهجه وسط فهو بين هؤلاءواولئك. هو مقرىء قرأ القراءات المشهورة ، على مجموعة من القراء ، ثم هو نحوي مشهور ، ولغوي نحرير وهذا المنهج هو المنهج الذي ينسجم مع طبيعة النحاس التي استوعبت كثيرا من الاتجاهات وهضمت مجموعة من المناهج .

ومن الامثلة على ذلك ما جاء في اوجه قراءات « يخطف » في الآية الكريمة « يكاد البرق يخطف ابصارهم » (البقرة آية : ٢٠) حيث اورد في يخطف سبعة اوجه : القراءة الفصيحة: « يَخْطَفُ» وقراءة علي بن الحسين ويحيى بن وثاب: « يكاد البرق يخطِف ابصارهم » بكسر الطاء . قال سعيد الاخفش : هي لغة . وقراءة الحسن وقتادة وعاصم الجحدري وابي رجاء العطاردي : « يخطف » بفتح الياء وكسر الخاء والطاء .

وقال الكسائي والاخفش والفراء : يخطف بكسر الياء والخاء والطاء . وقال الفراء : وقرأ بعض اهل المدينة بتسكين الخاء وتشديد الطاء . وروى عن الحسن انه قرأ بفتح الخاء . يخطف . وفي مصحف ابي : « يتخطف » .

ثم اورد من اقوال النحاة ما يوجه بعض القراءات فقال : (وزعم سيبويه والكسائي أن من قرأ « يخطف » بكسر الخاء والطاء فالاصل عنده : « يتخطف » ، ثم ادغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان فكسر الخاء لالتقاء الساكنين . قال سيبويه : ومن فتحها القى حركة الياء عليها . قال الفراء : وهذا خطا ، ويلزم من قاله أن يقول في « يَمُد » : « يَمِد » لان الميم كانت ساكنة(٤١).قال الفراء: وانما كسرت الطاء لان الالف في«اختطف»

(٣٩) ابن جني : المنصف ١/٣٠٧ .
(٤٠) اعراب القرآن لوحة ٦٤ : أ .
(٤١) لان اصلها قبل الادغام : « يمدد » .

مكسورة)(٤٢) . وعقب على ذلك بقوله : (قال اصحاب سيبويه الذي قال الفراء لا يلزم لانه لو قيل : « يمده لا شكل بيفعل، ويفتعل لا يكون الا على جهة واحدة ، قال الكسائي : من قال : « يخطف » كسر الياء لان الالف في « اختطف » مكسورة(٤٣) .

واخيرا .. رفض ما اورده « الفراء » عن بعض اهل المدينة فقال : (اما ما حكاه الفراء عن بعض اهل المدينة من اسكان الخاء والادغام ، فلا يعرف ولا يجوز لانه جمع بين ساكنين) .

والمثال الاخر من (سورة طه آية ١١٣) ، حيث اوردقراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم والكسائي : « وانا اخترتك » وقراءة سائر الكوفيين : « انا اخترناك » ، ثم قال (المعنى واحد الا ان « وانا اخترتك » اولى لجهتين : احداهما انه اشبه بالخط والثانية انه اولى بنسق الكلام لقوله جل وعز : « يا موسى اني انا ربك » . وعلى هذا النسق جرت المخاطبة)(٤٤) .

فهو قد اورد القراءتين على انهما صحيحتان مرويتان عن ائمة القراء ، ثم رجح احداهما لانه اشبه بخط المصحف وينسق الآيات في هذه السورة .

هذه صورة واضحة لمنهجه في المزج بين طريقة النحاة وطريقة القراء الخالصتين .

ولكن هل التزم بمدرسة معينة عند توجيه القراءات ؟

يبدو ان النحاس لم يلتزم بمدرسة معينة في القراءات بالرغم من انه كان متخصصا بمدرسة « ورش »(٤٥) . وهذا يرجع الى انه كان ذا راي متميز وشخصية بارزة فلا يقلد مدرسة معينة لا في القراءات ولا في النحو ، بل له اختيار خاص في كل ذلك . يعتمد على اسس معينة يوازن بها ويرجح بواسطتها وهي : الفصيح من لغات العرب ولهجاتها(٤٦) . والاعتماد على قراءات أئمة القراء(٤٧) ومراعاة سياق الآيات القرآنية(٤٨) ، ومراعاة خط المصحف(٤٩) ، ومراعاة اواخر الآيات ان كانت القراءة تتعلق بكلمة هي راس آية(٥٠) ، والاعتماد على الاصول العامة في النحو العربي(٥١) .

(٤) بيان ما يحتاج اليه من المعاني

قبل ان نتحدث عن تفصيل القول في منهجه في توضيح المعاني نبين مفهوم المعاني عنده ... فهو يريد بالمعاني ما صعب من لفظ مفرد ويقابله الغريب ، وما اشكل من المعاني العامة التي تتصل بالجملة والمفهوم العام للآية التي يحاول اعرابها لان الاعراب يبنى في الغالب على المعنى العام ، فليس من الغريب ان نجد بيان المعاني ومراعاة السياق مرتبطا ببيان اوجه الاعراب وباللغات ايضا .

(٤٢-٤٣) اعراب القرآن لوحة٦ : أ . وينظر معاني الفراء١/١٨.
(٤٤) اعراب القرآن لوحة ١٣٠ : أ .
(٤٥) الداني : المفردات السبع / ٩ .
(٤٦) اعراب القرآن لوحة٢ : ب وه : أ ، و ٦ : أ ،و١٢١:ب.
(٤٧) اعراب القرآن لوحة ٧١ : أ .
(٤٨) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : أ .
(٤٩) اعراب القرآن لوحة ١٣٠ : أ .
(٥٠) اعراب القرآن لوحة ١٢٩ : أ .
(٥١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب و ٢٤ : أ .

ففي حديثه(٥٢) عن الآية الكريمة (٦٣) من سورة الانعام): « تدعونه تضرعا وخفية » ، قال : (تضرعا : مصدر ، ويجوز أن يكون حالا ، وبمعنى ذو تضرع . وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم : « وخفية » بكسر الخاء(٥٣) وروى عن الاعمش : « وخيفة » الياء قبل الفاء . وهذا معنى بعيد لان معنى تضرعا ان يظهروا التذلل وخفية ان يبطنوا مثل ذلك) .

غير ان النحاس لم يكن موفقـــا في رده سواء اراد قراءة « عاصم » كما يفهم من تعقيبه ، ام اراد قراءة « الاعمش » اذا اخذنا بالاشارة الى الاقرب . لانه في الحالة الاولى رد قراءة مشهورة متواترة(٥٤) . وفسر التضرع الى الله باظهار التذلل. وهذا الوجه ليس بمستقيم بدليل آية اخرى هي قوله تعالى: « ادعو ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين » (الاعراف آية ٥٥) . وفيها جمع التضرع والخفية . اما في حالة قصده قراءة « الاعمش » : خيفة ، فاننا نرد عليه بالآية الكريمة : « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة » (الاعراف آية ٢٠٥) . وفيها جمع بين التضرع والخيفة .

ومن الامثلة على مراعاة المعاني الحديث عن (الآية ٧٨ من سورة الانعام) : حكاية عن « ابراهيم » : « فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي » . قال النحاس (بازغة : نصب على الحال لان هذا من رؤية العين ، « قال هذا ربي » . قال الكسائي والاخفش : اي قال هذا الطالع ربي . وقال غيرهما : اي هذا الضوء . قال علي بن سليمان : اي هذا الشخص)(٥٥) .

ولعل اوضح الامثلة دلالة على منهجه في ايراد المعـــاني ما دار حول القسم الاول من « سورة قريش » .

فالسورة ليست مقطعا ماخوذا من سياق ولكنها صورة متكاملة القسمات والملامح .. وهي من الســـور القصيرة ، التي تبعدنا عن الاطالة . قال النحاس(٥٦) : (« لايلاف قريش» مذهب الاخفش : فعل بهم ذلك ليؤلف قريشا . وهذا القول الخطا فيه بين لو كان كما قال لكانت لايلاف بعض آيات « الم تر» وفي اجتماع المسلمين على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال. وايضا فلو كان كما قال لم يكن آخر السورة تماما . وهذا غير موجود في شيء من السور . وقيل في الكلام حذف ، والمعنى : اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت . وهذا الحذف مذهب الفراء . وتحتج له بـان العرب تقول : لله ابوك . فيكون في اللام معنى التعجب . واصح من هذين القولين ــ وهو قول الخليل ــ ان المعنى : لان يؤلف الله عز وجل قريشا فليعبدوا رب هذا البيت ، اي : لهـذا فليعبدوه . قال ابو جعفر : فهذا لا خلاف فيه . وهو من حسن النحو ودقيقه . وان كان اصحاب كتب المعاني قـــد اغفلوه ...) .

(٥) بيان اللغات في القرآن ونسبة كل لغة الى اصحابها

لا نكون مغالين اذا قلنا : ان كتاب اعراب القرآن للنحاس من مصادر اللغات واللهجات العربية ، ففيه مادة غزيرة منها وهو لا يني عن ذكرها ، ولم اجد في الكتب المشهورة المعروفـة

(٥٢) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : ا .
(٥٣) كتاب السبعة/٢٥٩ .
(٥٤) كتاب السبعة / ٢٥٩ .
(٥٥) اعراب القرآن لوحة ٦٨ : ا .
(٥٦) اعراب القرآن لوحة ٣٢٢ : ب .

كمعاني الفراء ومعاني الزجاج وتفسير الطبري مايضاهي اعراب القرآن للنحاس في هذه الناحية . صحيح انه مسبوق بكتب تناولت اللغات في القرآن مثل كتاب : اللغات في القرآن لابن عباس (ت٦٨هـ) ، وكتاب « لغات القرآن » (٥٧) للفراء (٢٠٧هـ) ــ وان كان النحاس يشير اليه لا تصريحا ، بل تلميحا (٥٨) وكتاب لغات القرآن لابي زيد الانصاري (ت٢١٥هـ) ومثلها للاصمعي وللهيثم بن عدي(٥٩) . غير ان هـذه الكتب مفقودة كلها ماعدا كتاب ابن عباس ، فهو مطبوع ، لكنـه لا يتصل الا بغريب القرآن .

ولعل اهم فرق بين منهجه ومنهج تلك الكتب انه استوعب هذه اللغات ، واستعملها في مكانها ، واستخدمها في توليـق القراءات وتعليلها وتوجيهها واستدل بها ايضا في رفض بعض الآراء او قبولها ، مع ملحوظة واحدة هي انه ليس هناك دليل على انه اخذ من تلك الكتب كل مادة ذكرها ، وان لم يكن من المعقول انه اهمل قسما كبيرا منها وهو المعروف باستيعاب مصادر الموضوع الذي يعالجه ، او الاطلاع على اهم مصادره كما فعل في هذا الكتاب وفي كتابيه الآخرين : « القطع والائتناف » و « شرح القصائد التسع » .

اما الكتب التي اوردت اللغات ــ غير كتب النحاس ــ فقد اكتفت بايراد اللغة او اللهجة واستشهدت لها بالشعر ان وجد ودليلنا على ذلك كتاب « اللغات في القرآن » لابن عباس رضي الله عنه ، ومعاني القرآن للفراء .

واهم لغات القبائل المذكورة في « اعراب القرآن » :

*لغة اهل الحجاز . (٦٠)
*ولغة بني تميم . (٦١)
*ولغة قيس . (٦٢)
*ولغة ربيعة . (٦٣)
*ولغة بكر بن وائل . (٦٤)
*ولغة هذيل . (٦٥)
*ولغة بني اسد او بعضهم . (٦٦)
*ولغة بلحارث بن كعب . (٦٧)
*ولغة بني عامر . (٦٨)
*ولغة كنانة . (٦٩)

(٥٧) الفهرست / ٣٥ .
(٥٨) اعراب القرآن لوحة ١٣١ : ا (حيث ينقل راي الفراء في لغة بلحرث بن كعب في بناء المثنى على الالف دائما) ، وفي غير هذا الموضع .
(٥٩) الفهرست /٣٥ .
(٦٠) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب
(٦١) نفسه لوحة ٦٧ : ا ، ١٣١ : ا
(٦٢) نفسه لوحة ٢ : ب
(٦٣) نفسه لوحة ٢ : ب .
(٦٤) نفسه لوحة ٧ : ب .
(٦٥) نفسه لوحة ٤ : ب .
(٦٦) نفسه لوحة ٦ : ب
(٦٧) نفسه لوحة ١٣١ : ب .
(٦٨) نفسه لوحة ٧ : ب .
(٦٩) نفسه لوحة ٩ : ا .

*ولغة فضاعة . (٧٠)

*ولغة بني العنبر . (٧١)

ويبدو أن أكثر اللغات دورانا في كتابه لغة اهل الحجاز ولغة تميم وكانهما رفيقان لا يكادان يفترقان .

واهم القضايا اللغوية التى عالجها هى :

(أ) الامالة والفتح :

ومما يتصل بموضوع الدراسات الصوتية حديثه عن ظاهرتى الامالة والفتح وموقف القبائل منها (٧٢) . ففي الحديث عن الآية (٢٩) الكريمة : « ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » . (البقرة آية : ٢٩) . ذكر ان اهل الحجاز يفخمون واهل نجد يميلون ـ اى الفعل استوى ـ ليدلوا على انه من ذوات الياء . والتفخيم معناه الفتح في اصطلاح القراء ، (٧٤) والامالة عكسه . فالقبائل التى تميل لا تفتح والتي تفتح لا تميل . وقد تحدث عن الامالة وموقف القراء منها. ورايه في قسم منها ايضا . (٧٥)

(ب) مايتعلق بالاتباع :

فقد لاحظ النحاس ببراعة انبعض بني ربيعة يحركون الكسرة اذا كانت بعد مرفوع بالرفع اتباعا لما قبله . وعلل ذلك بالخفة لان الضمة اخف على السنتهم من الانتقال من ضم الى كسر فقالوا : « الحمدُ لله » ولاحظ ايضا ان بني تميم يتبعون الاول الآخر على عكس ربيعة فيقولون« الحمدِ لِله » فاما العلة في الكسرة فان هذه اللفظة تكثر في كلام الناس والضم ثقيل ولا سيما اذا كانت بعده كسرة ، فابدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شيء واحد . والكسرة مع الكسرة اخف .

وهذا نوع من الانسجام والمماثلة بين الاصوات اللغوية نتج عن المجاورة . وتاثر بعضها ببعض . ففي حالة النطق التميمي تاثر الصوت الاول بالثاني فقالوا : « الحمدِ لِله » بدلا من (٧٦) « الحمد لله » وفي حالة النطق الربيعي ، حدث التاثر بالعكس .

(ج) ما يتعلق بالابدال والقلب :

وقد لاحظ أن بني تميم وبني عامر يبدلون من احدى الميمين ياء فيقولون في « اما » : « ايما » وعلى ذلك ينشد بيت عمر بن ابي ربيعة (٧٧) في رائيته المشهورة :

رايت رجلا ايما اذا الشمس عارضت
فيضحي وايما بالعشي فيخصر

وقد لاحظ ان « هذيلا » يقلبون ياء الذين الى واو فيقولون : « اللذون » (٧٨) . ومن العرب من يقول الذى للجميع (٧٩) كما قال الشاعر : (٨٠)

ان الذى حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا ام خالد

(د) النطق بالاصوات على الاصل :

ومن القضايا الجديرة بالتسجيل نطق بعض القبائل العربية بالاصوات دون ابدال او اعلال ، بل على الاصل .

وتجرى هذا المجرى لهجة هذيل ولهجة بني دبير من اسد فينطقون الفعل (قيل) : (قَوَلَ) على الاصل لانه من قال يقول . وقريب منها لهجة كثير من قيس الذين يشمون القاف الضم ،(٨١) وان كانوا ينطقونها بما يشبه « قُيل » الا ان الياء تكاد تختفي عند الاشمام ، لان الاشمام معناه : « الاشارة الى الحركة من غير صوت ، او ان تجعل الشفتين على صورة الضمة اذا لفظت » (٨٢) .

وتنبه النحاس الى ان اهل الحجاز وبني اسد ينطقون (يملل) عللى الاصل ، وان بني تميم يقلبون اللام ياء ، فيقولون : (يملي) . وجاء القرآن باللغتين (٨٣) .

(هـ) اتفاق مجموعة قبائل على لغة :

(١) فقد تنبه الى اتفاق « هذيل » و « بني دبير من اسد » على نطق « قول » على الاصل .

(٢) وان لغة قيس وربيعة وتميم تتفق على نطق فاء (فعيل)في مثل رحيم ورفيف وبعير ، بالكسر في حين ينطقه اهل الحجاز بالفتح متفقين فيذلك مع بني سعد (٨٤)

(٣) وان لغة « قيس وتميم » قصر هؤلاء ، فعلى لغتهم « هاؤلا » . وله شاهد من شعر « اعشي قيس » اورده النحاس (٨٥) .

(و) لغات نادرة :

(١) اللغات في « حيث » :

حكى « سيبويه » ان العرب من يفتحها على كل حال .وقال الكسائى : الضم لغة قيس وكنانة . والفتح لغة بني تميم . وبنو اسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب (٨٦) .

(٢) فاتقوا النار :

لغة تميم واسد : « فتقوا النار » . (٨٧)

---

(٧٠) نفسه لوحة ٧٣: ب

(٧١) نفسه لوحة ١٣ : أ .

(٧٢)ـ(٧٣) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ .

(٧٤) النشر في القراءات العشر ٩٩/٢ .

(٧٥) اعراب القرآن لوحة ١٠ : أ .

(٧٦) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب . نفسه لوحة ١٣١ : أ .

(٧٧) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب .

(٧٨)ـ(٧٩) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب .

(٨٠) الشاعر هو «الاشهب بن رميلة» كما في المنصف ١١:٦٧/١ وفيه « فان الذي » وهو من الطويل . وعلى هذا يكون مخروما على رواية النحاس .

(٨٢) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ .

(٨٢) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١٢١/٢ .

(٨٣) اعراب القرآن لوحة ٣٠ : ب .

(٨٤) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب .

(٨٥) اعراب القرآن لوحة ٨ : ب .

(٨٦) اعراب القرآن لوحة ٩ : أ .

(٨٧) نفسه لوحة ٧ : أ .

(٣) الامالة في « كافر »

والامالة في « كافر » لغة تميم ، وهي حسنة لانه مخفوض والراء بمنزلة حرفين وليس لها حرف مانع والحروف الموانع : الخاء والغين والقاف والصاد والضاد والطاء والظاء . (٨٨)

(٤) « رسل » بين توالي الضم وتخفيفه

لغة اهل الحجاز « رسل » بضمتين مضافا كان او غير مضاف ولغة تميم التخفيف ـ اي بتسكين الوسط ـ مضافا او غير مضاف . (٨٩)

(٥) عشرة في « اثنتى عشرة » بين التثقيل والتخفيف .

لغة بني « تميم » « عشرة » بكسر الشين . وهذا من لغتهم نادر لان سبيلهم التخفيف .

ولغل اهل الحجاز « عَشْرة » بالتخفيف وسبيلهم التثقيل(٩٠) .

(٦) فتح لام كي

قال يونس : وناس من العرب يفتحون لام كي .
قال الاخفش : لان الفتح هو الاصل .
قال خلف الاحمر : هي لغة بني العنبر(٩١) .

(٧) « انا » في الوقف والوصل

في « انا » ثلاث لغات في الوصل : افصحها ان فعلت بحذف الالف في الادراج لانها زائدة لبيان الحركة في الوقف .

قال الفراء : « وبعض بني قيس وربيعة يقولون انا فعلت بابات الالف في الادراج .

قال الكسائي : وبعض قضاعة يقولون آنَ فعلت مثل عان(٩٢) .

وهكذا نجد ابا جعفر النحاس قد التزم بمنهجه الذي قرره في اول الكتاب اذ وعد ان يلتزم بنسبة كل لغة الى اصلها الا حروفا قليلة لم ينسبها(٩٣) . ولعله لم يجد لها نسبة في مرجع من المراجع التي كانت متوفرة لديه .

(٦) اللغات بين الجواز والمنع

اما اختلاف العلماء في اجازة بعض اللغات ومنع الاخرين لها ، فهو قليل التحدث عنه . من ذلك قوله : (وواحد الازواج زوج . قال الاصمعي : ولا تكاد العرب تقول : زوجة : قال الفراء : يقال زوجة . وانشد :

ان الذي يسعى ليفسد زوجتي
كماش الى اسد الشرى يستبيلها

غير انه لم يبد في هذا الاختلاف اللغوي رايا كما يفعل مع الاختلافات النحوية . لكنه علق على رواية الفراء للبيت فقال : (الرواية : وان الذي يسعى ليفسد زوجتي)(٩٤) . فاصلح « الخرم »(٩٥) ، وهو جائز في الطويل وبيت الفرزدق منه .

(٨٨) اعراب القرآن لوحة ١٠ : أ (والحرف في البقرة) .
(٨٩) نفسه لوحة ١٤ : أ .
(٩٠) نفسه لوحة ١١ : ب .
(٩١) اعراب القرآن لوحة ١٣ : أ .
(٩٢) نفسه لوحة ٧٣ : ب .
(٩٣) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ ، ٦ : أ .
(٩٤) اعراب القرآن لوحة ٧ : أ .
(٩٥) الخرم : حذف حرف متحرك من اول كل شعر ابتداؤه حرفان متحركان والثالث ساكن ، وذلك في « مفعولن » و « مفاعيلن » و « مفاعلتن » (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / ٢٣٧) .
(٩٦) اللسان (زوج) ١١٦/٣ .
(٩٧) معجم الادباء ٢٤٧/١٩ وطبقات المفسرين ٣٥٦/٢ .
(٩٨) معجم الادباء ٦٧/٢٠ وطبقات المفسرين ٣٨٦/٢ .
(٩٩) الفهرست/ ٢٤ والبغية ١٦٤/٢ وطبقات المفسرين ٤٠٢/١.
(١٠٠) الفهرست /٥٣ ومعجم الادباء ٥٣/١٩ والبغية ٢٤٣/١.
(١٠١) اعراب القرآن لوحة ٣٢٢ : ب .
(١٠٢) يوجد تحت الارقام : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ تفسير .

والحق مع الفراء فان البيت الذي استشهد به للفرزدق وهو من تميم ، وهم يقولون للمراة « زوجة » ، واهل الحجاز يضمون للمذكر والمؤنث لفظا واحدا هو « زوج »(٩٦) . والظاهر ان الاصمعي لم يسمع بما في لغة تميم فانكره .

رابعاً ـ مصادره

ان مصادر النحاس البارزة في « اعراب القرآن » هي :

(١)كتب معاني القرآن

تعد كتب اعراب القرآن ـ من وجهة نظري ـ مرحلة متطورة عن كتب المعاني لان الاخيرة سبقت كتب الاعراب من الناحية الزمنية ، كما انها اشتملت على الاعراب ايضا .ومن اقدم الامثلة الباقية « معاني القرآن » للفراء (ت ٢٠٧هـ) ، وهو خير مثال على ما نقول . وان اول كتاب الف في المعاني(٩٧) هو كتاب « واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) ، وتلاه كتابا يونس ابن حبيب (ت ١٨٢ هـ) : المعاني الصغير والمعاني الكبير(٩٨). ثم تلاهما الكسائي (ت١٨٩هـ) بكتابه « معاني القرآن »(٩٩) . ولكن اول كتاب الف في اعراب القرآن هو كتاب(١٠٠) قطرب (ت ٢٠٦ هـ) . فكتب المعاني متضمنة مادة اعراب القرآن وسابقة لها من حيث الزمان ، فالثانية مرحلة تالية للاولى متطورة عنها مع شيء من التركيز على الاعراب وتقليل من ايراد المعاني ، وهذا ما يعلل لنا اهتمام النحاس بكتب معاني القرآن .

ويمكن ان نستشف من عبارة له انه استوعب هذه الكتب واستقراها . ففي اعراب قوله تعالى : « لايلاف قريش» بين آراء النحاة ثم استحسن قول « الخليل » فقال بعده : (وهذا من حسن النحو ودقيقه وان كان اصحاب كتب المعاني قد اغفلوه)(١٠١) .

وان الذين سبقوا النحاس والفوا في معاني القرآن كثيرون ولكن الاسماء التي تتردد في اعراب القرآن له هي اسماء الكسائي (ت ١٨٩ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) والاخفش (ت ٢١٥ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والزجاج (ت ٣١١هـ) وابن كيسان النحوي (ت ٣٢٠ هـ) .

ونحن نعلم ان كتب الفراء والاخفش والزجاج في المعاني باقية ، طبع الاول منها وبقي الاخران مخطوطين .

وقد اطلعنا على كتاب الزجاج لوجود نسخ مصورة منه بمعهد المخطوطات بالقاهرة(١٠٢) . وعلى مصورة كتاب

الاخفش(١٠٢) سعيد ، ومخطوطته الوحيدة موجودة في مدينة « مشهد » بايران .

وسنتحدث عن كتب « المعاني » التي رجع اليها النحاس كما نبدو من كتابه « الاعراب » ، وعن المسائل التي كانت تلفت نظره في كتاب منها دون الآخر ، وكيف كان يتعامل مع كل كتاب قبولا ورفضا ومعنى ذلك اننا نعطي صورة واضحة لموقفه من هذه الكتب واسباب اختلافه بين كتاب وكتاب .

أ ـ معاني القرآن للكسائي

هذا الكتاب مفقود ، لكنه ذكر للكسائي في جل مصادر ترجمته(١٠٤) . وقد نقل منه النحاس في مواطن عدة من كتاب « اعراب القرآن » ، لكن الذي يلفت النظر انه اكثر من الاعتماد على اللغات التي اوردها . وتعليل بروز هذه الناحية عند الكسائي يرجع الى (انه خرج الى البدو فشاهد العرب واقام عندهم فصار كواحد منهم ثم دنا الى الحضر وقد علم اللغة)(١٠٥) . وهذا يفسر ايضا اعتماد النحاس عليه في هذه الناحية اكثر من اعتماده على غيره من المؤلفين في « المعاني » .

ففي اعراب قوله تعالى : « فكلوا منها حيث شئتم رغدا » (البقرة آية ٥٨) ، نقل النحاس من كتاب الكسائي اللغات في (حيث) فقال : (قال الكسائي : الضم لغة قيس وكنانة والفتح لغة بني تميم . وبنو اسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب)(١٠٦) .

وعند الحديث عن لغات (انا) نقل من كتاب الكسائي ان بعض بني قيس وربيعة يقولون : (انا فعلت) باثبات الالف في الادراج . ونقل من كتاب الكسائي ان بعض بني فقاعة يقولون: (آن فعلت) مثل (عان) ، اما في الوقف فان بعض العرب يقولون : (انه)(١٠٧) .

وفي كتاب النحاس نقول كثيرة من كتاب الكسائي(١٠٨) ، وفيما اوردناه كفاية .

ولما كان الكسائي مقرئا ضابطا وواحدا من الذين اجمع علماء فن القراءات على انه « متقن » حتى قال ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) عنه : (كان امام الناس في القراءة في عصره ، وكان ياخذ الناس عنه الفاظهم بقراءته عليهم)(١٠٩) .. ولما كان على هذه الصورة من الاتقان فان ذلك لم يغب عن ابي جعفر النحاس المقرىء المطلع على المشهور والشاذ من القراءات ، ولذلك اعتمد على الكسائي في هذه الناحية ونقل من كتابه .

ففي بيان القراءات في الآية الكريمة : « والذين يؤمنون بما انزل اليك » (سورة البقرة آية : ٤) ، اوضح النحاس ان الكسائي اجاز حذف الهمزة وان يقرا : « بما انزل ليك » وشبهه بالحذف في « لكنا هو الله ربي »(١١٠) اذ الاصل في هذه « لكن انا » . وهو قياس عرف به الكسائي .

وعند توضيح اوجه القراءات في قوله تعالى : « « انا لله » (البقرة ١٥٦) ، وبيان المقبول منها والمردود ذكر النحاس ان الكسائي قال : (ان شئت كسرت الالف لاستعمالها وكثرتها) ، وعقب عليه قائلا : (اما قول الكسائي فيجوز على انه يريد ان الالف ممالة الى الكسرة . اما على ان تكسر فمحال لان الالف لا تحرك البتة)(١١١) .

وما رآه النحاس وما قاله من ان الالف لا تحرك البتة ، هو من الامور الواضحة جدا ولا يمكن أن تغيب عن بال اي لغوي بله الكسائي ... اما انه يريد بالكسرة امالة الالف الى الكسرة فهو امر معروف لدى القراء لان الامالة والكسر لفظان مترادفان عندهم(١١٢) .

ونقل من كتاب الكسائي مجموعة من التوجيهات النحوية التي ارتضاها . منها ما جاء في اعراب كلمة « ذكرى » في الآية الثانية من سورة الاعراف: (كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) ، حيث قال النحاس : (ذكرى ، لم تنصرف لان في آخرها الف تانيث وتكون في موضع رفع وخفض : الرفع عند البصريين على اضمار مبتدأ . وقال الكسائي : هي عطف على الهاء او على كتاب . والنصب عند البصريين على المصدر . وقال الكسائي : هي عطف على الهاء في «انزلناه » والخفض بمعنى الانذار) . ثم ارتضى هذا التوجيه(١١٣) .

ولا يكتفي بالرضى عن رايه ـ احيانا ـ بل يجعله اصح الآراء كما في الحديث عن الآية ١٤٦ من سورة الانعام : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ...) . فقد قال النحاس ـ وهو يوجه اعراب « ما » في الجزء الاخير من الآية ـ : (ما : في موضع نصب على «ماحملت»» وفي هذا اقوال اصحها قول الكسائي والفراء واحمد بن يحيى والنظر يوجبه ان يعطف الشيء على ما يليه الا الا يصح معناه او يدل دليل على غيره)(١١٤) .

ويبدو ان النحاس قلما يرد على الكسائي على عكس ما فعل في آراء الفراء ، وهو يقرن بينهما(١١٥) في احيان كثيرة !

ب ـ معاني القرآن للفراء

اعتمد النحاس على هذا الكتاب في مواضع كثيرة من كتابه سواء في اخذ اللغات ام في التوجيه النحوي ام في معالجة قضايا القراءات .

اما من ناحية ايراد اللغات فانه اخذ من كتابي الفراء : المعاني واللغات ، لان بعض اللغات لا توجد في كتاب المعاني . وسنمثل لما اخذه من الاول .

ومنه ما اورده النحاس موجها لاشكال طال فيه النقاش

---

(١٠٢) اعارني مصورته مشكورا الزميل الدكتور كامل حسن البصير .
(١٠٤) الفهرست /٣٤ ومعجم الادباء ٢٠٢/١٢ وطبقات القراء ٥٣٩/١ والبغية ١٦٤/٢ وطبقات المفسرين ٤٠٢/١ .
(١٠٥) طبقات القراء ٥٣٨/١ .
(١٠٦) اعراب القرآن لوحة ٩ : أ .
(١٠٧) اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب .
(١٠٨) اعراب القرآن لوحة ١٨ : أ ، ١٢١ : أ ، ١٦٧ : أ .
(١٠٩) كتاب السبعة في القراءات / ٧٨ .
(١١٠) سورة الكهف آية ٣٨ وينظر اعراب القرآن لوحة ٤ :أ
(١١١) اعراب القرآن لوحة ١٨ : ب .
(١١٢) كتاب السبعة / ١٤٣ .
(١١٣) اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب .
(١١٤) اعراب القرآن لوحة ٧٢ : ب .
(١١٥) اعراب القرآن لوحة ١٤ : أ ، ٦٨ : أ ، ١٢١ :ب .

حول الآية الكريمة : « ان هذان الساحران »(١١٦) فقال : (قال الفراء وجماعة من اللغويين : هي لغة بلحارث بن كعب حيث يقولون : رأيت الزيدان ومررت بالزيدان . وانشد الفراء :

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى
مساغا لنابا ه الشجاع لصمما

وارتضى النحاس هذا التوجيه ، بعد عرض جملة من الآراء . ورأي الفراء مع الشاهد في « معانيه »(١١٧) .

أما من ناحية التوجيهات الاعرابية فقد اعتمد عليه في مواطن منها ما جاء في اعراب كلمة « هدى » في الآية الكريمة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »(١١٨) .

قال النحاس : (وفي « هدى » ثمانية اوجه : يكون في موضع رفع خبرا عن ذلك . وعلى اضمار مبتدأ . وعلى ان يكون خبرا بعد خبر ، وعلى أن يكون رفعا بالابتداء . قال ابو اسحاق(١١٩) : ويكون المعنى : فيه هدى ، و « لا ريب » التمام(١٢٠) . فهذه اربعة اوجه في الرفع . ويكون على وجه خامس وهو ان يكون ردا على موضع « لا ريب فيه » ، اي : حق هدى . ويكون نصبا على الحال من ذلك . ويكون حالا من الكتاب . ويكون حالا من الهاء)(١٢١) .

وقال الفراء : (هدى : رفع من وجهين ونصب من وجهين : اذا اردت بالكتاب ان يكون نعتا لذلك كان الهدى في موضع رفع لانه خبر لذلك ، كانك قلت : ذلك هدى لاشك فيه . وان جعلت « لا ريب فيه » خبره رفعت ايضا « هدى » تجعله تابعا لموضع « لا ريب فيه » . فاما النصب في احد الوجهين فان تجعل الكتاب خبرا لذلك فتنصب « هدى » على القطع(١٢٢) لان هدى نكرة اتصلت بمعرفة قد تم خبرها فتنصبها على القطع من الهاء التي في « فيه » كانك قلت : لا ريب فيه هاديا)(١٢٣) .

وتأثر النحاس بالفراء في هذه الناحية واضح جدا لانه اخذ من كتابه جل توجيهاته النحوية في هذا النص .

ويأخذ النحاس منه بعض التوجيهات النحوية احيانا دون أن يسميه بل يقول : « قال بعض النحويين »(١٢٤) .

ولكن لم اجد النحاس رد على احد من النحاة كما رد على الفراء ، وكانه اورد جملة من آرائه لا ليعتمد عليها بل ليرد عليها ردا عنيفا .

فقد وصف آراء الفراء « بالغلط القبيح » مرات(١٢٥).

ووصفها بالغلط البين مرة اخرى . ومن ذلك ما جاء في حديثه عن الآية ٣ من سورة الروم : « لله الامر من قبل ومن بعد » ، حيث قال : (حكى الفراء من قبل ومن بعد مخفوضتين بغير تنوين . وللفراء في هذا الفصل من كتابه في القرآن اشياء كثيرة الغلط فيها بين ، فمنها انه زعم انه يجوز من قبلِ ومن بعدِ كما قال الشاعر وهو الاعشى(١٢٦) :

الا علالة او بـــدا هة قارح نهـد الجزاره

والغلط في هذا بين لانه ليس في القرآن : لله الامر من قبل ومن بعد ذلك فيكون مثل قوله : .... الخ)(١٢٧) .

وقد ظهر لي ان النحاس كثيرا ما يجمع بين رأي الكسائي ورأي الفراء ، لكنه يتناول رأي الاخير ويرد عليه بشدة واذا ما رد على رأي من آراء الاول تناوله برفق او مسه مسا خفيفا !! او تركه دون ان يرد عليه(١٢٨) مع ان الكسائي استاذ الفراء .

ج ـ معاني القرآن للاخفش

اشار النحاس الى الاخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) كثيرا ، وارتضى جملة من آرائه في « معاني القرآن » ، وساوى بينها وبين آراء الكسائي واحيانا يساوي بين رأيه ورأي سيبويه والمبرد .

وليس معنى ذلك انه ارتضى كل آراء الاخفش بل رد ما وجده لا ينسجم مع رأيه .

ويبدو لنا الاخفش ـ من خلال كتابه معاني القرآن ـ نحويا من الطراز الاول ، وآراؤه تحمل طابع الاستقلال والنضج . وله آراء طريفة اورد النحاس جملة منها .

ومن ذلك رأيه ان (من) في الآية : « يخرج لنا مما تنبت الارض » (البقرة آية ٦١) ، زائدة(١٢٧) . وهو خلاف رأي سيبويه ، استاذ الاخفش ، حيث يرى انها لا تزاد ، الا ان يكون ما قبلها غير موجب ، وهو رأي المبرد (١٣٠) وجمهور البصريين(١٣١) . ومعنى غير الموجب : النفي والنهي والاستفهام .

والحق مع الاخفش لان (من) تزاد في غير الموجب ايضا ويؤيد هذا الراي الآيات الكريمة الآتية :

« يحلون فيها من اساور من ذهب » (الكهف آية ٣١)
« يكفر عنكم من سيئاتكم » (البقرة آية ١٧١)
« يغفر لكم من ذنوبكم » (الاحقاف آية ٣١)

---

(١١٦) سورة طه آية ٦٣ .
(١١٧) معاني الفراء ١٨٤/٢ واعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب .
(١١٨) سورة البقرة آية : ٢ .
(١١٩) ابو اسحاق هو الزجاج .
(١٢٠) التمام : وقف التمام .
(١٢١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب .
(١٢٢) القطع عند الكوفيين هو الحال عند البصريين .
(١٢٣) معاني الفراء ١٠/١-١١ .
(١٢٤) ينظر اعراب القرآن لوحة ٦٦ : ب عند الحديث عن الآية الكريمة : « فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ... » . ويقابل بمعاني الفراء ٣٣٦/١ .
(١٢٥) اعراب القرآن لوحة ١٨ : أ ، ١٣٢ : ب ، ٣٠٦ : ب.
(١٢٦) تقديره : « الا علالة قارح او بداهته » فحذف الاول لبيان ذلك في الثاني ـ ينظر كتاب سيبويه ٩١/١ والمقتضب للمبرد ٢٢٨/٤ (والعلالة بالضم : بقية جري الفرس ، وبقية كل شيء . والبداهة بالضم : اول جريه . والقارح من الخيل : الذي بلغ اقصى اسنانه عند كمال خمس سنين . والنهد : المرتفع . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان) .
(١٢٧) اعراب القرآن لوحة ١٦٧ : أ .
(١٢٨) نفسه لوحة ١٨ : ب ، ٦٤ : أ ، ١٦٧ : أ .
(١٢٩) الاخفش : معاني القرآن لوحة ٤٦ : أ واعراب القرآن لوحة ١١ : ب ـ ١٢ : أ .
(١٣٠) كتاب سيبويه ٣٦٢/١ والمقتضب ٤٢٠/٤ .
(١٣١) الجنى الداني في حروف المعاني /٣١٧ .

ومن الشعر قول عمر بن أبي ربيعة :

وينمي لها حبها عندنا فما قال من كاشح لم يضر

وقد تابعه على ذلك بعض الكوفيين(١٣٢) . وهو الراي .

اما موقف النحاس من الاخفش فقد ارتضى رايه في ان الهاء في (مثابة) من الآية الكريمة « واذ جعلنا البيت مثابة للناس »(١٣٣) . للمبالغة لكثرة من يثوب اليه ، كما تقول : نسابة لمن يكثر منه ذلك(١٣٤) .

وارتضى ما يراه الاخفش من ان المقصود بالخطاب في الآية الكريمة « أولم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض »(١٣٥) هو : مكنا لهم في الارض ، وجرى السياق على الاسلوب الاول للآية ، وهو من باب تحويل المخاطبة «والعرب تحول خطاب الشاهد الى الغائب والغائب الى الشاهد » ، وانشد الاخفش(١٣٥):

بأبي وامي صار جدة خالد
وبياض وجهك في التراب الاعفر

وهو توجيه سليم . والاخفش مع الفراء من الفلائل الذين نظروا الى الاساليب وتجاوزوا البناء الشكلي للجملة العربية .

وقد ساوى النحاس بينه وبين سيبويه والكسائي في الواو في الآية الكريمة : « اوكلما عاهدوا عهدا ..»(١٣٦) .

قال الاخفش الواو زائدة(١٣٧) . وملهب الكسائي انها «او» حركت الواو منها(١٣٨) .

وجعل النحاس قول الاخفش ابين الاقوال في اعراب « ما » في الآية الكريمة : « بئس ما اشتروا به انفسهم »(١٣٩) . فقد قال الكسائي ما واشتروا اسم واحد في موضع رفع . وقال الاخفش : هو مثل قولك : بئس رجلا زيد . والتقدير عنده بئس شيئا اشتروا به انفسهم(١٤٠) .

والنحاس لم يرتض كل اقوال الاخفش بل رد عليه احيانا. ففي بيان اوجه القراءات في الآية الكريمة : « وقولوا للناس حسنا »(١٤١) . قال النحاس : (قرأ الكوفيون حَسَنًا(١٤٢) ، اي : قولا حسنا . وقال الاخفش : حُسْن وحسَن مثل بُخْل وبَخَل) . وقول الاخفش يعني ان القراءتين بمعنى واحد . ولكن هذا الراي مردود عند النحاس بقول المبرد : (يقبح في العربية ان تقول : مررت بحسن على ان تقيم الصفة مقام الموصوف لانه لا يعرف ما اردت)(١٤٣) .

(١٣٢) سورة البقرة آية ١٢٥ .
(١٣٣) معاني الاخفش لوحة ٦٦: أ واعراب القرآن لوحة ١٦ :أ.
(١٣٤) سورة الانعام آية ٦ .
(١٣٥) معاني الاخفش لوحة ١٠٩ : ب (ولم اجد فيه الشاهد في هذا الموضع من السورة) . وينظر اعراب القرآن لوحة ٦٥ : أ .
(١٣٦) سورة البقرة آية ١٠٠ .
(١٣٧) معاني الاخفش لوحة ٦٣ : ب .
(١٣٨) اعراب القرآن لوحة ١٥ : أ .
(١٣٩) سورة البقرة آية ٩٠ .
(١٤٠) معاني الاخفش لوحة ٦٣ : أ واعراب القرآن لوحة ١٤ : أ ـ ب .
(١٤١) سورة البقرة آية : ٨٣ .
(١٤٢ ، ١٤٣) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب (وقول النحاس :

ورأي النحاس والمبرد مرجوح للاسباب الآتية :

الاول : ان سياق الآية يفهم منه الحذف لا سيما بعد فعل الامر : « وقولوا للناس حسنا » ، وسياق الآية لا يشبه المثال الذي اورده : « مررت بحسن » فهي على تقدير محذوف، اي : قولوا قولا حسنا . وليس « مررت بحسن » مثلها .

الثاني : ان القراءة سبعية متواترة قرأ بها حمزة والكسائي(١٤٤) فهي ثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلا ترد برأي حتى لو كان موافقا للقياس النحوي . فكيف به وهو غير موافق له ؟ !

السبب الثالث : ان هذا التقدير الذي ارتاه الاخفش ارتضاه جمهور من علماء النحو منهم الزجاج ومكي بن ابي طالب وابن عطية وابو حيان النحوي ، وغيرهم(١٤٥) .

د ـ معاني القرآن للمبرد

وهو من كتب المبرد المفقودة . لكنه ذكر له في مجموعة من المصادر(١٤٦) .

وقد نقل منه النحاس في مواضع عديدة من كتابه وارتضى جملة من آرائه . وكان رده عليه قليلا اذا ما قيس برده على الفراء .

واعتماده عليه اما في توضيح مشكل آية او ترجيح قراءة او الرد على ما لا يراه صحيحا من آراء بعض النحاة .

اما من جهة توضيح مشكل آية فمن امثلته ما جاء في حديثه عن قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا »(١٤٧) .

والاشكال هو : اين خبر الذين ؟

الاخفش يقول : التقدير : والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم او بعد موتهم ، ثم حذف هذا كما يحذف شيء كثير .

والكسائي يقول : التقدير : يتربصن ازواجهم ، كما قال تعالى : « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا .. لا تقم فيه ابدا »(١٤٨) . اي : لا تقم في مسجدهم(١٤٩) .

ثم يقول النحاس : (ومن احسن ما قيل فيها(١٥٠) قول

قرأ الكوفيون حسنا) ، تعبير غير دقيق لان هذه القراءة ـ بفتحتين ـ ليست قراءة جميع الكوفيين من السبعة وهم : عاصم وحمزة والكسائي ، بل هي قراءة حمزة والكسائي ، دون عاصم فقد قرأها بضم الحاء وسكون السين مثل بقية السبعة (ينظر كتاب السبعة/ ١٦٢) .
(١٤٤) كتاب السبعة / ١٦٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١/٢٥٠ والمحرر الوجيز ١/٢٣٧ .
(١٤٥) الكشف ١/٢٥٠ والمحرر الوجيز ١/٢٣٧ والبحر المحيط ١/٣٨٥ .
(١٤٦) الفهرست /٣٤ ، ٨٨ ، وانباه الرواة ٣/٢٥١ والبغية ١/٢٧٠ وطبقات المفسرين ٢/٢٦٩ .
(١٤٧) سورة البقرة آية : ٢٣٤ .
(١٤٨) سورة التوبة آية : ١٠٧ .
(١٤٩) اعراب القرآن لوحة ٢٦ : أ .
(١٥٠) فيها ج أي : في تفسير اشكال الآية ٢٣٤ من البقرة .

ابي العباس محمد بن يزيد : قال : التقدير : والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا ازواجهم يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ، ثم حذف كما قال الشاعر :

وما الدهر الا تارتان فمنهما
اموت واخرى ابتغي العيش كادح(١٥١)

اما من جهة اعتماده عليه في ترجيح قراءة فمن امثلته ما جاء في الحديث عن الآية الكريمة : « لا ينال عهدي الظالمين »(١٥٢) . وهي قراءة السبعة لا خلاف بينهم في نصب « الظالمين » .

وقد اورد النحاس ان عبدالله(١٥٣) وابا رجاء(١٥٤) والاعمش(١٥٥) قرؤوا « لا ينال عهدي الظالون » .

قال الفراء : ما نالك فقد نلته . كما تقول : نلت خيرا ونالني خير اي ان القراءتين بمعنى واحد .

وعقب النحاس على قول الفراء بما يفيد رفضه مستندا الى ما حكاه عن المبرد انه قال : « المعنى يوجبنصب الظالمين »(١٥٦) .

اما من جهة الاستناد الى رايه في الرد على رأي الآخرين فمن امثلته ما جاء في الحديث عن الآية الكريمة : « وقنا عذاب النار »(١٥٧) .

فالاصل في « قنا » : « او قنا » . حذفت الواو كما حذفت من « بقى » ، لانها بين ياء وكسرة . هذا قول البصريين . وقال الكوفيون : حذفت فرقا بين اللازم والمتعدي .

وعقب النحاس على قول الكوفيين بقوله : « قال محمد ابن يزيد : هذا خطأ لان العرب تقول : ورم يرم فيحذفون الواو »(١٥٨) .

وليس معنى الاستشهاد باقوال المبرد ان النحاس يرتضي كل آرائه ، بل قد يرد عليه . ومن امثلة ذلك ما جاء في الحديث عن الآية الكريمة : « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون »(١٥٩) .

قال النحاس : (حكى عن محمد بن يزيد انه قال : يكذبونك ويكذّبونك بمعنى واحد . وقد قيل : يكذبونك بمعنى لا يجدونك كاذبا . ثم عقب عليه بقوله : قال غيره : معنى لا يكذبونك لا يكذبونك بحجة ولا برهان ويدلك على ذلك «ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون »(١٦٠) .

وهذا تعقيب يفهم منه رد رأي المبرد وترجيح رأي غيره .

هـ ـ معاني القرآن للزجاج

يبدو ان معاني القرآن للزجاج من الكتب المهمة في موضوعه لان النحاس اكثر من النقل عنه (١٦١) . والنحاس لا يفعل ذلك اعتباطا . كما انه من اهم كتب الزجاج ولذلك سماه القفطي : « صاحب كتاب معاني القرآن »(١٦١) . ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ان للزجاج كتبا كثيرة غير هذا ، فخص المعاني بالذكر لاهميته .

وقد ارتضى النحاس مجموعة من آرائه ، فقد ارتضى رأيه في علة تحريك نون « نحن » بالضم حيث قال : (نحن للجماعة ومن علامة الجماعة الواو ، والضمة من جنس الواو ، فلما اضطروا الى حركة « نحن » لالتقاء الساكنين حركوها بما يكون للجماعة ولهذا ضموا واو الجميع في « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى »(١٦٢) .

وارتضى قوله في بيان معنى الآية الكريمة : « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم »(١٦٣) . قال ابو اسحاق : (يعلم ما بين ايديهم من امر الآخرة وجميع ما يكون . وما خلفهم : ما وقع من اعمالهم)(١٦٤) .

ووافقه على رأيه في جواز قراءة « قبضة » في الآية الكريمة: « فقبضت قبضة من اثر الرسول »(١٦٥) بضم القاف مثل غرفة(١٦٦) . مع انه لم يقرأ بها احد من القراء السبعة ولا العشرة ولا الاربعة عشر(١٦٧) .

وعندما حكى « الفراء » : (اولاي) لغة في (اولاء) ، عند الحديث عن الآية الكريمة : « هم اولاء على اثري »(١٦٨)، رفض ابو اسحاق الزجاج هذا وزعم انه « لا وجه له »(١٦٩) ، فارتضى النحاس رأي الزجاج وايده بالحجة قائلا : (وهو كما قال لان هذا ليس مما يضاف فيكون مثل هداى . ولا يخلو من احدى جهتين : اما ان يكون اسما مبهما فاضافته محال ، واما ان يكون بمعنى الذي فلا يضاف ايضا لان ما بعده من تمامه).

ولكنه مع كل هذه الاقتباسات رد مجموعة من آراء استاذه الزجاج وافواله .

فحين يرى الزجاج ان « الفرقان » في الآية الكريمة : «واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان »(١٧٠) ، هو « الكتاب » اعيد

---

(١٥١) اعراب القرآن لوحة ٢٦ : أ (والتقدير : فمنهما تارة اموت واخرى . وقد استشهد به سيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفةعليه ـ كتاب سيبويه ٣٧٦/١«اكدح»، والاعلم على سيبويه ٣٧٦/١) .
(١٥٢) سورة البقرة آية : ١٢٤ .
(١٥٣) عبدالله هو ابن مسعود الصحابي الجليل المتوفى بالكوفة ٣٢هـ (طبقات القراء ٤٥٨/١) .
(١٥٤) أبو رجاء هو عمران بن تيم ابو رجاء العطاردي البصري التابعي الكبير . لقي أبا بكر الصديق وحدث عن عمر رضي الله عنهما توفي ١٠٥ هـ (طبقات القراء ٦٠٤/١).
(١٥٥) الاعمش هو سليمان بن مهران الامام الجليل ت ١٤٨ هـ (طبقات القراء ٣١٥/١) .
(١٥٦) اعراب القرآن : لوحة ١٦ : أ .
(١٥٧) سورة البقرة آية : ٢٠١ .
(١٥٨) اعراب القرآن لوحة ٢٢ : ب .
(١٥٩) سورة الانعام آية : ٣٣ .
(١٦٠) اعراب القرآن لوحة ٦٦ : أ
(١٦١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب ، ٤ : أ ، ٨ :ب ، ١٣:ب ١٢٩ : ب ، ١٣١ أ-ب ، ١٣٣ : أ ..
(١٦١) انباه الرواة ١٥٩/١ .
(١٦٢) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ ، ٥ : ب .
(١٦٣) سورة طه آية : ١١٠ .
(١٦٤) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : ب .
(١٦٥) سورة طه آية : ٩٦ .
(١٦٦) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : أ .
(١٦٧) كتاب السبعة / ٤٢٤ والكشف ١٠٥/٢ والمبهج في القراءات لوحة ٣٢٨ .
(١٦٨) سورة طه آية : ٨٤ .
(١٦٩) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : أ .
(١٧٠) سورة البقرة آية : ٥٣ .

ذكره ، ينكر النحاس هذا الراي ويقول : (هذا بعيد انما يجيء في الشعر ، كما قال : « والفى قولها كذبا وميناً» . ويرى ان احسن ما قيل في الآية قول مجاهد : ان الفرقان معناه فرق بين الحق والباطل الذي علمه اياه)(١٧١) .

وعندما يقول الزجاج ان « ادنى » في قوله تعالى : « أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير »(١٧٢) ، من الدنو الذي هو القرب . من قولهم : « ثوب مقارب » اي : قليل الثمن(١٧٣) ، يرده النحاس قائلا : (واجود منه ان المعنى ـ والله اعلم ـ أتستبدلون الذي هو القرب اليكم في الدنيا بالذي هو خير لكم يوم القيامة لانهم اذا طلبوا خير ما أمروا بقبوله فقد استبدلوا الذي هو القرب اليهم في الدنيا مما هو خير لهم من الثواب)(١٧٤) .

وقد رد عليه في مواطن اخرى كرده عليه رايه في جواز امالة «طه»(١٧٥) . وهذه الردود وتلك ان دلت على شيء فانما تدل على استقلال الراي وتكامل الشخصية بعيدا عن التقليد .. وهي صفات العالم المجتهد والمفكر الناضج .

و ـ معاني القرآن لابن كيسان

هو من كتب ابن كيسان المفقودة ، ولكنه ذكر له في مجموعة كبيرة من مصادره (١٧٦) دما دامت جل كتبه مفقودة ، فان النقول الكثيرة التي اوردها النحاس عنه(١٧٧) تعد ذات اهمية خاصة لانها حفظت مجموعة من آراء ابن كيسان اللغوية والنحوية .

ففي اعراب « الم » من اول البقرة ، نقل عنه انه قال : (الم في موضع نصب بمعنى اقرأ « الم » او عليك « الم » ، ويجوز ان يكون موضعه رفعا بمعنى هذا « الم » او ذلك(١٧٨). ويمكن ان يقاس على هذا جميع ما ورد في القرآن في فواتح السور من هذه الحروف ، مثل «ن» و «ق» و «ص» و « حم » و «كهيعص » ، وغيرها .

ونقل عنه انه يرى جواز اعراب « سواء » في الآية الكريمة « ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون »(١٧٩) . (خبر يقوم مقام الفاعل ويجوز ان يكون خبران : « لايؤمنون » . اي : ان الذين كفروا لا يؤمنون)(١٨٠).

وارتضى رايه في ان تجمع « تجارة » على « تجاير » مثل ضلالة وضلايل(١٨١) .

وارتضى رايه في ان « ميثاقا » في الآية الكريمة : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه »(١٨٢) ، (اسم يؤدى عن المصدر) ، كما قال الشاعر :

اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا(١٨٣)

وموقف النحاس من آراء استاذه يتلخص في انه يعرض آراءه مع آراء اللغويين والنحاة كالكسائي والفراء وثعلب والمبرد والزجاج ، وقلما استدرك عليه او عقب على آرائه(١٨٤) .

ثانيا ـ كتب اعراب القرآن

كتب اعراب القرآن التي سبق بها النحاس كثيرة ، ونكتفي بذكر اسماء من اشار الى اصحابها في كتابه ، وهي :

أ ـ اعراب القرآن(١٨٥) لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) .

ب ـ اعراب القرآن(١٨٦) لابي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) .

ج ـ اعراب القرآن(١٨٧) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) .

د ـ اعراب القرآن(١٨٨) لثعلب (ت ٢٩١ هـ) .

وكل هذه الكتب مفقودة . ولولا نقول النحاس منها لظلت معرفتنا بها لا تتعدى اسماءها .

اما من حيث كثرة النقول وقلتها فيمكننا ان نرتب اسماء هؤلاء حسب التسلسل الآتي :

ثعلب ـ ثم ابو عبيدة ـ ثم ابن قتيبة ـ ثم قطرب .

اما من حيث قبول الآراء وردها فان النحاس آخذ من آراء هؤلاء واقوالهم ما رآه صحيحا ورد ما عدا ذلك .

ـ النحاس وثعلب

اما من حيث موقفه من « ثعلب » فانه ارتضى رايه في ان (مثلا) منصوب على القطع (الحال)(١٨٩) في الآية الكريمة : « ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »(١٩٠).

وارتضى النحاس رايه في ان « ما » الثانية الواردة في الآية الكريمة : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم »(١٩١) . تعرب في محل نصب عطفا على ما الاولى المنصوبة على الاستثناء(١٩٢) .

---

(١٧١) اعراب القرآن لوحة ١١ : أ .
(١٧٢) سورةال البقرة آية : ٦١ .
(١٧٣ـ١٧٤) اعراب القرآن لوحة ١٢ أ .
(١٧٥) اعراب القرآن لوحة ١٢٩ : ب .
(١٧٦) الفهرست /٨١ ومعجم الادباء ١٣٩/١٧ وانباه الرواة ٥٧/٢ والبغية ١٨/١ وطبقات المفسرين ٥٤/٢ .
(١٧٧) اعراب القرآن لوحة ٢ أ ، ٣ : ب ، ٤: أ ، ٤ : ب ، ٥ : أ ، ٥ : ب ، ٧ : ب ، ٩ : أ ، ٦٧ : ب ..الخ .
(١٧٨) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب .
(١٧٩) سورة البقرة آية : ٦ .
(١٨٠) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب
(١٨١) اعراب القرآن لوحة ٥ : ب .
(١٨٢) سورة البقرة آية : ٢٧ .
(١٨٣) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ .
(١٨٤) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ .
(١٨٥) الفهرست / ٥٣ ومعجم الادباء ٥٣/١٩ والبغية ٢٤٣/١ وطبقات المفسرين ٢٥٥/٢ .
(١٨٦) الفهرست / ٥٤ .
(١٨٧) الفهرست / ٧٨ وانباه الرواة ١٤٦/٢ وترتيب المدارك ٢٩٢/٣ وطبقات المفسرين ٢٤٥/١ .
(١٨٨) انباه الرواة ١٥١/١ ووفيات الاعيان ٨٧/١ والبغية ٣٦٥/٢ وطبقات المفسرين ٣٨٦/٢ .
(١٨٩) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب .
(١٩٠) سورة البقرة آية : ٢٦ .
(١٩١) سورة الانعام آية : ١٤٦ .
(١٩٢) اعراب القرآن لوحة ٧٢ : أ .

وارتضى رايه في ان «فرادى» تأتي بصيغة المعدول من العدد اي : « فراد » ، مثل ثلاث ورباع(١٩٣) .

ولكن النحاس رفض راي ثعلب القائل : ان الفاعل المتقدم مرفوع بفعله ينوى به التاخير(١٩٤) . وذلك عند اعراب الآية الكريمة : « اذا السماء انفطرت » . وهو راي الكوفيين ولم ينفرد به ثعلب . ويخالفهم البصريون ومعهم النحاس فيرون انه مرفوع بفعل مقدر يفسره المذكور لان « اذا » مختصة بالدخول على الافعال(١٩٥) .

غير ان النحاس ارتضى راي الكوفيين وتبناه في كتاب التفاحة(١٩٦) .

ـ النحاس وابو عبيدة

ابو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) قرين الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) . ولم تكن هذه المنزلة لتخفى على مثل النحاس ولذلك استفاد منه في اماكن كثيرة من كتابه : « الاعراب » وغيره .

فمن الآراء التي ارتضاها له ما حكاه ان بعض العرب يجزم ب (لن) كما يجزم ب (لم)(١٩٧) .

وارتضى رايه في جواز قراءة « أتحاجوني »(١٩٨) بنون واحدة خفيفة حيث قال محتجا لها : (انما كره التثقيل من كرهه للجمع بين ساكنين ، وهما الواو والنون ، فحذفوا النون). اي : من أتحاجونني . وحذف النون هي قراءة عبدالله بن عامر (ت ١١٨هـ) ونافع بن ابي نعيم (ت ١٦٩ هـ) وهما من القراء السبعة(١٩٩) .

وقد جعل ابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) هذه القراءة « لحنا » . وهو اتجاه غير سليم وذلك من ناحيتين : فمن الناحية الاولى تعد هذه القراءة متواترة ، اي : ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . اما من الناحية الاخرى فالقراءة واردة في اللغة . فقد انشد سيبويه والاخفش وغيرهما لعمرو بن معد يكرب :

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فلينى

اراد (فلينني)بنونين فحذف استخفافا لاجتماع المثلين متحركين(٢٠٠) .

ومثل هذا ما قال ابو حية النميري :

ابالموت الذي لا بد انى ملاق لا ابالك تخوفيني

اراد « تخوفينني »(٢٠١) . فحذف . وعلى هذا قراءة من قرا « فبم تبشرون »(٢٠٢) . وهي قراءة سبعية قرأ بها اهل المدينة لا سيما « نافع » (٢٠٣) .

ورفض النحاس راي ابي عبيدة القائل : ان (اذ) في الآية الكريمة : « واذ قال ربك للملائكة ... »(٢٠٤) ، زائدة.

وحجة النحاس ان (اذ) ظرف زمان ، والظروف ليست مما يزاد(٢٠٥) .

وما ذهب اليه النحاس ذهب اليه جمهور يعتد بهم من اللغويين والنحاة(٢٠٦) .

ورفض رايه في جواز الجر على الجوار اذ لا يجوز الجر على الجوار عند النحاس متابعا في ذلك الخليل وسيبويه(٢٠٧). وهو في الحقيقة جائز ومنسجم مع منطق اللغة تماما ، وقد بيناه.

النحاس وابن قتيبة

يطلق النحاس نسبة (القتبى) على (ابن قتيبة) ، ولا يسميه ولا يكنيه في « اعرابه » .

وقلما يعتد النحاس بآراء ابن قتيبة .

فمرة اورد توجيهه للآية الكريمة : « ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم »(٢٠٨) حيث قال : (هي على تقدير : ثم انتم يا هؤلاء)(٢٠٩) . فخطاء النحاس في هذا استنادا الى انه لا يجوز عند سيبويه « هذا اقبل » !!

وهل سيبويه حجة على ابن قتيبة وعلى الناس ؟!

وارتضى النحاس راي ابي قتيبة القائل : (انما قيل للخبر وسط لان الغلو والتقصير مذمومان)(٢١٠) .

النحاس وقطرب

استشهاد النحاس بقطرب قليل نسبيا ، فقد استشهد برايه على ابدال السين صادا حيث نقل عنه انه قال : (اذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاء او قاف او خاء او غين فلك ان تقلبها صادا)(٢١١) .

لكنه رفض توجيهه للآية الكريمة : « واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان »(٢١٢) . اذ يقول : (يكون « واذ آتينا موسى الكتاب » اي : التوراة ، ومحمدا الفرقان)(٢١٣) . وعقب عليه النحاس قائلا : (هذا خطا في الاعراب والمعنى. اما الاعراب فان المعطوف على الشيء مثله وعلى هذا القول يكون

---

(١٩٣) اعراب القرآن لوحة ٦٩ : أ .
(١٩٤) اعراب القرآن لوحة : ٣٠٦ .
(١٩٥) كتاب سيبويه ٤٦١/١ ، والمقتضب ٧٧/١ والخزانة ٤٥٠/١ ـ ٤٥١ .
(١٩٦) كتاب التفاحة / ١٧ .
(١٩٧) اعراب القرآن لوحة ٧ : أ .
(١٩٨) هذا الحرف في الآية ٨٠ من سورة الانعام .
(١٩٩) كتاب السبعة / ٢٦١ والكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٢٦/١ .
(٢٠٠) الكتاب ١٥٤/٢ والقزاز القيرواني : ما يجوز للشاعر في الضرورة/١٢٤ـ١٢٥ واللسان (فلا) ٢٢/٢٠ .
(٢٠١) معاني الاخفش لوحة ٩٧ : ب ، ٩٨ : أ واللسان (فلا) ٢٢/٢٠ .
(٢٠٢) سورة الحجر آية : ٥٤ .
(٢٠٣) كتاب السبعة / ٣٦٧ والكشف ٣٠/٢ والمبهج في القراءات لوحة ٣٠٥ (مصورتي) .
(٢٠٤) سورة البقرة آية : ٣٠ .
(٢٠٥) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ .
(٢٠٦) المحرر الوجيز ٢١٦/١ وتفسير القرطبي ٢٢٤/١ والبحر المحيط ١٣٧/١ .
(٢٠٧) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ .
(٢٠٨) سورة البقرة آية : ٨٥ .
(٢٠٩) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب .
(٢١٠) اعراب القرآن لوحة ١٧ : ب .
(٢١١) اعراب القرآن لوحة ٣ : أ .
(٢١٢) سورة البقرة آية : ٥٣ .
(٢١٣) اعراب القرآن لوحة ١١ : أ .

المعطوف على الشيء خلافه . فاما المعنى فقد قال فيه جل وعز : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان »(٢١٤) .

وهذه المواقف من آراء اصحاب كتب « اعراب القرآن » يجملنا نقرر النتيجة الآتية ـ ونحن مطمئنون ـ وهي ان النحاس اخذ من هذه الكتب ورد وقبل ورفض شأنه في ذلك شأن اكابر العلماء وعظماء المفكرين الذين لا يقبلون الآراء على علاتها .. بل يرفضون ما يرونه موافقا لمنهجهم وادلتهم ويرفضون ما عداه .

ثالثا ـ كتب اللغات

اكثر النحاس من ايراد اللغات في كتابه « اعراب القرآن» وقد سبق بمجموعة من كتب اللغات(٢١٥) . ونحن نكتفي بايراد من اشار الى اسمائهم في كتابه .

فقد اشار في كتابه ـ عند الحديث عن اللغات ـ الى اسماء كل من : « يونس بن حبيب » (ت ١٨٢ هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) ، والفراء (٢٠٧ هـ) وابي زيد الانصاري (٢١٥ هـ) .

ولكل واحد من هؤلاء كتاب في اللغات الا الكسائي ، فالراجح ان اللغات التي اوردها النحاس عنه ، منقولة من كتابه « معاني القرآن » كما ان بعض ما يرويه عن « الفراء » من لغات موجود في كتابه المعاني(٢١٦) .

ـ النحاس ويونس

اما يونس بن حبيب فقد حكى عنه النحاس انه سمع « رؤبة » يقرأ : « ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة »(٢١٧) ، برفع بعوضة موجها ذلك على لغة تميم ، حيث جعل « ما » بمعنى الذي ورفع « بعوضة » في على اضمار مبتدأ(٢١٨) .

وفي الحديث عن الآية الكريمة : « ليحاجوكم به عند ربكم »(٢١٩) ، روى عن يونس انه قال : (وناس من العرب يلتحون لام كي)(٢٢٠) . وارتضى رأيه .

ـ النحاس والكسائي

وقد حكى عن الكسائي لغة بني اسد (لراف) على «فعل» لغة في « رؤوف »(٢٢١) .

ـ النحاس والفراء

اما بالنسبة للفراء فقد حكى عنه انه قال : (وقال زوجة لغة في زوج . وانشد

ان الذي يمشي يحرش زوجتي
كماش الى اسد الشرى يستثيرها(٢٢٢)

(٢١٤) سورة الانبياء آية : ٤٨ .
(٢١٥) ينظر الفهرست /٣٥ وانباه الرواة ٣٥/٢ والبغية ٣٦٥/٢ وطبقات المفسرين ١٨٠/١ ، ٣٢٧/٢ ، ٣٦٧ .
(٢١٦) معاني الفراء ١٨٤/٢ واعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب .
(٢١٧) سورة البقرة آية : ٢٦ .
(٢١٨) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب .
(٢١٩) سورة البقرة آية : ٧٧ .
(٢٢٠) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ا .
(٢٢١) اعراب القرآن لوحة ١٨ : ا .
(٢٢٢) اعراب القرآن لوحة : ٧ : ا .

وهو للفرزدق ، وروايته كما يقول النحاس : « وان الذي يسعى ليفسد زوجتي »(٢٢٣) . ولعل النحاس رجح الرواية الاخيرة لان البيت من الطويل ، فيكون على رواية الفراء مخروما .

وما ذكره الفراء لغة تميم(٢٢٤) ، ولا يوجد في كتابه « المعاني » . فالراجح انه من كتابه « اللغات » .

النحاس وابو زيد الانصاري

اما ابو زيد الانصاري فهو من اكثر مصادر النحاس ثقة فقد وصفه بصفات لم تجتمع في وصف اساتذته كالزجاج وابن كيسان . وذلك عندما اورد التوجيهات الكثيرة لحل الاشكال الوارد في اعراب الآية ٦٣ من سورة طه : (ان هذان لساحران) حيث جاء قوله : (وقول من قال انها لغة بلحارث من احسن ما حملت عليه الآية ، اذ كانت هذه اللغة معروفة ، وقدحكاها من يرضى علمه وصدقه وامانته ، منهم : ابو زيد وابو الخطاب الاخفش)(٢٢٤) .

وفي بيان اوجه القراءات في الآية الكريمة : « فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٢٢٥)» اورد ان عاصما الجحدري وعيسى بن عمر وابن ابي اسحاق قرؤوا : « فمن تبع هُدَيَّ » وارتضى هذه القراءة اعتمادا على قول ابي زيد « هذه لغة هذيل يقولون : هدى وعصى وانشد:

سبقوا هَوَيَّ واعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع »(٢٢٦)

فليس بغريب ـ بعد ذلك ـ ان يستشهد بما حكاه ابو زيد من لغات العرب دون ان يعقب عليه(٢٢٧) .

رابعا ـ كتب القراءات

تحدث النحاس عن القراءات في كتابه : « اعراب القرآن» كثيرا بحيث لم يترك منها الا ما لا غناء فيه لبحثه .

ولكن السؤال الذي يبرز هنا هو : اي كتاب اتخذه النحاس اساسا في بيان القراءات ؟

الظاهر انه اعتمد على « كتاب القراءات » لابي عبيد(٢٢٨) القاسم بن سلام بدليل انه نقل منه مجموعة من القراءات بتفصيلاتها(٢٢٩) ، وهذا وحده لا يكفي فانه اورد مجموعة كبيرة من اختيارات « ابي حاتم السجستاني » ولكنه رفضها الا قليلا منها(٢٣٠) ، لانه ابدى شكه فيما يرويه ابو حاتم من

(٢٢٣) اللسان (زوج) ١١٧/٣ .
(٢٢٤) اعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب .
(٢٢٥) سورة البقرة آية : ٣٨ .
(٢٢٦) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب (وذكر النحاس هذا الشاهد لابي ذؤيب الهذلي توجيها لقراءة عاصم وابن ابي اسحاق: « ومَحْيَيَ » ، في الآية : ١٦٢ من سورة الانعام ، دون ان يشير الى اسم ابي زيد . وحكم القراءتين واحد والشاهد واحد (ينظر اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب).
(٢٢٧) اعراب القرآن لوحة ٦٥ : ب .
(٢٢٨) ذكر له في معجم الادباء ٢٦٠/١٦ وانباه الرواة ٢٢/٣ وطبقات الشافعية ٢٧٠/١ والبغية ٢٥٣/٢ وطبقات المفسرين ٣٤/٢ .
(٢٢٩) اعراب القرآن لوحة ٢٠ : ب ، ١٧١ : ا .
(٢٣٠) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب ، ٢٣ : ب ، ٣١ : ب ، ٦٩ : ب .

قراءات لان الاخير كثير الحكاية عن « عصمة بن عروة البصري » وهو « ضعيف » عند الامام(٢٣١) احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) و « مجهول » عند غيره(٢٣٢) ، فكيف يعتمد النحاس ـ وهو العالم المقرىء المحدث ـ على كتاب القراءات لمؤلف يروى فيه كثيرا عن « ضعيف مجهول » ، مع ان المعتمد في القراءات على شرط التواتر عند جميع القراء؟

فلا بد من قرينة اخرى غير كثرة تردد الاسم .

اما بالنسبة لابي عبيد فتوجد قرينتان ترجحان اعتماد النحاس على كتابه في القراءات :

الاولى : ان النحاس لم يبد شكا فيما يرويه ابو عبيد من قراءات ، وان خالفه في بعض توجيهاته اللغوية والنحوية . وكيف يبدي شكا في رواية ابي عبيد المجمع على امامته(٢٣٣) . وثقته في الحديث والقراءة وعلوم القرآن .

كما ان كتاب ابي عبيد في القراءات كان مصدرا لفحول علماء القراءات في عصر النحاس ، فقد اتخذه الامام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) اساسا لكتابه « الجامع في القراءات »(٢٣٤) ، وجعله ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) من مصادر كتابه « السبعة »(٢٣٥) ، وهما معاصران لابي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) فلا يمكن ان تخفى عليه شهرة كتاب بمثل هذه الاهمية ..

والقرينة الاخرى : ان كتاب ابي عبيد تضمن قراءة (٢٥) قارئا منهم القراء السبعة(٢٣٦) . وما دام كتاب الطبري قد تضمن قراءة(٢٢) قارئا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم(٢٣٧) ، وهو مبني على اساس كتاب ابي عبيد ، فان الاخير كان متضمنا لما تضمنه كتاب « الجامع » . وعند تتبع القراء الذين اوردهم النحاس لا نجده يخرج عن هذه الحدود لا من حيث العدد ولا من حيث الفترات الزمنية للطبقات من صحابة وتابعين ومن جاء بعدهم .

فاذا جمعنا هاتين القرينتين واخذنا بهما فانه يترجح لدينا ان كتاب ابي عبيد في القراءات كان اساسا لايراد القراءات عند النحاس .

كما ان النحاس اعتمد على مصادر مساعدة ، اوردت مجموعة من القراءات مثل : « معاني القرآن » للفراء ، الذي ذكره النحاس ونقل منه مرارا قسما من القراءات(٢٣٨) ، وكذلك نقل من « معاني القرآن »للكسائي(٢٣٩) ، «ومعاني القرآن » للاخفش(٢٤٠) .

خامسا ـ كتب النحو

اكثر النحاس من ايراد اقوال النحاة وآرائهم عند اعراب آي الذكر الحكيم . واشهر الذين أورد آراءهم : الخليل وسيبويه والاخافشة الثلاثة والكسائي والفراء وثعلب والمبرد والزجاج وابن كيسان .

وما دمنا قد اوردنا ـ عند الحديث عن كتب معاني القرآن واعاريبه ـ مجموعة من آراء جماعة منهم ، فاننا سنقتصر على ايراد امثلة من آراء الخليل وسيبويه والمبرد ، لاننا لم نتحدث عن آراء الخليل وسيبويه ، كما اننا لم نشر الى آراء المبرد التي اوردها النحاس من « المقتضب » او من غير «معاني القرآن» .

ـ الخليل والنحاس

اشار النحاس الى مجموعة من آراء الخليل اللغوية والنحوية ، وهي وان كانت كلها في كتاب سيبويه ، الا ان النحاس اخذ قسما منها من غير الكتاب . ومن ذلك قلب الواو تاء . ففي اعراب الآية الكريمة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »(٢٤١) ، تحدث عن اصل « التقية » فقال : (والتقية اصلها الوقية ، من وقيت ابدلت من الواو تاء لانها اقرب الزوائد وقد فعلوا ذلك من غير ان يكون ثم تاء ، كما حدثنا « علي بن سليمان » عن « محمد بن يزيد » عن (المازني) قال : سالت الاصمعي عن قول الشاعر (العجاج) :

* فان يكن امسى البلى تيقورى *

وقلت له قال الخليل : هو فيعول من الوقار فابدلت من الواو تاء ، فقال هذا قول الاشياخ)(٢٤٢) .

وقول الخليل هذا في كتاب سيبويه(٢٤٣) . واكثر الاقوال التي نسبها النحاس الى الخليل اخذها من « الكتاب » مباشرة .

ومن الامثلة عليها حديثه عن معنى « لايلاف قريش » حيث اورد قول الفراء : (اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت)(٢٤٤)، على حذف(٢٤٥)، ثم قال النحاس : (واصح من هذا قول الخليل : لان يؤلف الله عز وجل قريشا فليعبدوا رب هذا البيت) .اي : فليعبدوه. ثم استحسن قول الخليل وجعله من دقائق النحو التي اغفلها امثال الفراء .

---

(٢٣١) اعراب القرآن لوحة ١٦٦ : ب .
(٢٣٢) طبقات القراء ١/٥١٢ (حيث ترجمة عصمة بن عروة، ولم يذكر سنة وفاته).
(٢٣٣) تاريخ بغداد ١٢/٤٠٣ وانباه الرواة ٣/٢٢ وميزان الاعتدال ٣/٣٧١ وطبقات الشافعية ١/٢٧٠ وطبقات القراء ٢/١٨ وطبقات المفسرين ٢/٣٣ .
(٢٣٤) معجم الادباء ١٨/٦٧ .
(٢٣٥) كتاب السبعة /٣٩٦ .
(٢٣٦) النشر في القراءات العشر ١/٣٤ .
(٢٣٧) الابانة عن معاني القراءات / ١٩ والنشر١/٣٧ .
(٢٣٨) معاني القرآن ١/٣٣٦ واعراب القرآن لوحة ٦٦ : ب . وكذلك معاني الفراء ٢/١٨٤ واعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب ومعاني الفراء ٣/٣٤٤ واعراب القرآن لوحة ٣٠٦ : ب .
(٢٣٩) اعراب القرآن لوحة ٤ : أ ، ٦٤ : أ .
(٢٤٠) اعراب القرآن لوحة ٦ : أ ، ١٣ : ب .
(٢٤١) سورة البقرة آية : ٢ .
(٢٤٢) اعراب القرآن لوحة ٤ : أ .
(٢٤٣) كتاب سيبويه ٢/٣٥٦ .
(٢٤٤) اعراب القرآن لوحة ٣٢٢ : ب .
(٢٤٥) النص في معاني الفراء ٣/٢٩٣ جاء هكذا : (انه تبارك وتعالى عجّب نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : اعجب يا محمد لنعم الله تبارك وتعالى على قريش في ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم قال : « فلا يتشاغلن بذلك عن اتباعك وعن الايمان بالله ، فليعبدوا رب هذاالبيت».

ورأي الخليل في كتاب سيبويه(٢٤٦).

كما نص على انه نقل رايا آخر للخليل من كتاب سيبويه(٢٤٧) . وهذا نادر ، لان النحاس قلما يذكر اسماء الكتب التي ينقل منها .

النحاس وسيبويه

نقل النحاس مجموعة كبيرة من اقوال سيبويه وآرائه تفسيرا للقسم من القضايا اللغوية والنحوية او مستندا اليها في الرد على خصومه احيانا .

ففي اعراب الآية الكريمة « ولن يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم »(٢٤٨) قال : (« ايديهم » في موضع رفع ، حذفت الضمة من الياء مع الكسرة . واجاز سيبويه ضمها وكسرها في الشعر وانشدلابن قيس الرقيات :

لا بارك الله في الغواني هل يصبحن الا لهن مطلب

وقد اورد سيبويه هذا البيت شاهدا على تحريك الياء من « الغواني » واجرائها على الاصل ، ضرورة(٢٤٩) .

وعند اعراب الآية الكريمة : « يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت »(٢٥٠) ، قال النحاس : (« حذر»: منصوب لانه مفعول من اجله . قال سيبويه لانه موقوع له . وحقيقته انه مصدر ، وانشد لحاتم الطائي :

واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما(٢٥١)

وقد استشهد به سيبويه على نصب المصدر (ادخاره) لانه مفعول لاجله والاصل لادخاره فحذف حرف الجر ووصل الفعل فنصل(٢٥٢) .

ولكنه عند الموازنة بين آرائه وآراء غيره يرجح كفة سيبويه غالبا . فقد حكى ابو حاتم ان ابا عمرو وعيسى وطلحه قرؤوا: « انه هو التواب الرحيم »(٢٥٣) ، بادغام الهاء في مثلها . ولم يجوز ابو حاتم هذا الادغام لان بين الهاءين واوا في اللفظ لا في الخط .

ورد النحاس راي ابي حاتم بحجة ان سيبويه اجاز ان تحذف مثل هذه الواو وانشد للشماخ :

له زجل كانه صوت حاد
اذا طلب الوسيقة او زمير(٢٥٤)

فعلى هذا يجوز الادغام عنده . ولان الشاعر اراد « كانهو » فحذف الواو للضرورة(٢٥٥) .

واعتقد ان حجة النحاس مردودة بأقواله نفسها . ما دام الحذف في هذا البيت قد جاء للضرورة الشعرية . ولا يجوز ان يحمل كتاب الله على الضرورات ، بل على افصح اللغات كما كرر النحاس نفسه مرارا(٢٥٦) .

النحاس والمبرد

اما آراء المبرد النحوية واللغوية فبعضها قد اشرنا اليه في الحديث عن كتب المعاني .

اما ما لم نشر اليه فهو من كتاب « المقتضب » .

ومثال ذلك راي المبرد الذي يقول فيه : « ان المستثنى مفعول على الحقيقة بفعل تقديره : استثنيت »(٢٥٧) .

او ما اخذه بوساطة استاذه علي بن سليمان الاخفش،حيث يقول الاخير : سمعت محمد بن يزيد يقول : « اذا اعتل الشيء من ثلاث جهات وجب ان يبنى ، واذا اعتل من جهتين وجب الا يصرف لانه ليس بعد ترك الصرف الا البناء ، فمساس ودراك اعتل من ثلاث جهات : منها انه معدول ، ومنها انه مؤنث ، وانه معرفة . فلما وجب البناء فيها وكانت الالف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين ، كما يقال : اضرب الرجل »(٢٥٨) .

خامسا ـ اثر « اعراب القرآن » في الحركة اللغوية والنحوية

يمتد اثر « اعراب القرآن » للنحاس ، من القرن الرابع الهجري الى قرون عديدة .

سامثل لاثره في كتب « اعراب القرآن » بكتاب « البيان في غريب اعراب القرآن » لابي البركات الانباري .

وامثل لاثره في كتب التفسير بكتاب « الجامع لاحكام القرآن » للقرطبي .

(١) بين النحاس وأبي البركات الانباري(ت٥٧٧هـ) او اثر « اعراب القرآن » في « البيان في غريب اعراب القرآن »

يبدو اثر كتاب « اعراب القرآن » لابي جعفر النحاس في كتاب « البيان في غريب اعراب القرآن » لابي البركات عبدالرحمن ابن محمد الانباري (المتوفى ٥٧٧ هـ) كبيرا جدا ، ونستطيع ان نقول : ان ابا البركات تاثر بمنهج النحاس الاعرابي ، واخذ منه مادة غزيرة تفوق اية مادة ـ لغوية او نحوية ـ اخذها ابو البركات الانباري من مصادر اخرى كونت البناء التام لكتابه . كما اخذ من كتاب النحاس كثيرا من التعليلات النحوية والدقائق اللغوية والنحوية . وجل القراءات الواردة في كتاب « البيان » اجمالا وتفصيلا هي من كتاب اعراب القرآن للنحاس.

وقد اضاف ابو البركات الى ما اخذه من النحاس اشياء جزئية ليست ذات بال . والذي اضافه هو بعض التعليلات النحوية او الاوجه الاعرابية وبعض التفاصيل في الخلافات

---

(٢٤٦) كتاب سيبويه ٦٤/١ .
(٢٤٧) اعراب القرآن لوحة ١٣ : أ والكتاب ٤٠٧/١ .
(٢٤٨) سورة البقرة آية : ٩٥ .
(٢٤٩) الاعلم على سيبويه ٥٩/٢ .
(٢٥٠) سورة البقرة آية : ١٩ .
(٢٥١) كتاب سيبويه ١٨٤/١ ، ٦٤ (ذم اللئيم) .
(٢٥٢) الاعلم على سيبويه ١٨٤/١ .
(٢٥٣) سورة البقرة آية ٣٧ (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .
(٢٥٤) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب ، وكتاب سيبويه ١١/١ .
(٢٥٥) الاعلم على سيبويه ١١/١ .
(٢٥٦) اعراب القرآن لوحة ١١ : أ ، ١٢٢ : ب ، ٣٠٦ : ب .
(٢٥٧) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب والمقتضب ٣٩٠/٤ .
(٢٥٨) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : ب .

النحوية . لكن جميع المسائل الخلافية التي ذكرها النحاس في اعراب القرآن ذكرها ابو البركات في « البيان » مع أن قسما من هذه المسائل ليس له وجود في كتابه « الانصاف في مسائل الخلاف » .. اليس هذا يؤكد انه اخذها من النحاس ؟

والشيء الوحيد الذي يمكن ان يعد من اضافة ابي البركات هو مجموعة من الشواهد الشعرية .

كما ان ابا البركات الانباري يستعمل المصطلحات البصرية في حين يستعمل النحاس المصطلحات الكوفية والبصرية معا .

اهم نواحي التأثر

ولكن يمكن حصر اهم نواحي تأثر كتاب « البيان » بكتاب « اعراب القرآن » في النقاط الآتية :

اولا : التأثر بمنهج الاحتمالات النحوية

من خصائص منهج النحاس في الاعراب انه يذكر جميع الاحتمالات الاعرابية للكلمة الواحدة .

وابو البركات يفعل ذلك ، ولا يكتفي بذلك ، بل يأخذ جميع الاحتمالات النحوية التي يذكرها النحاس في الآية ولا يضيف الا قليلا ، وقد يحذف بعض الاوجه الاعرابية .

(١) ففي اعراب « غير » من قوله تعالى : « غير المغضوب عليهم » في سورة الفاتحة اوجه في الخفض واوجه في النصب.

ففي اوجه الجر قال النحاس : « غير : خفض على البدل من الذين(٢٥٩) . وان شئت نعتا . قال ابن كيسان : ويجوز ان يكون بدلا من الهاء والميم في عليهم »(٢٦٠) .

وفي اوجه النصب قال : « روى عن الخليل عن عبدالله بن كثير غير المغضوب بالنصب . قال الاخفش : هو نصب على الحال وان شئت على الاستثناء ، قال ابو العباس : هو استثناء ليس من الاول»(٢٦١) .

اما ابو البركات فقال : « غير : يجوز فيه الجر والنصب. فاما الجر فمن ثلاثة اوجه . احدها : ان يكون مجرورا على البدل من الضمير في عليهم . والثاني ان يكون مجرورا على البدل من (الذين) . والثالث : ان يكون على الوصف للذين » .

واما النصب فمن ثلاثة اوجه : (الاول ان يكون منصوبا على الحال من الهاء والميم في عليهم او من الذين . والثاني : ان يكون منصوبا بتقدير اعني . والثالث ان يكون منصوبا على الاستثناء المنقطع »(٢٦٢) .

(٢) اما « ذلك » في قوله تعالى : « ذلك الكتاب لاريب فيه »(٢٦٣) ففيه ستة اوجه . يقول النحاس : (ذلك فيه ستة اوجه يكون بمعنى هذا ذلك الكتاب ، واجتزيء بعضها من بعض. ويكون رفعا بالابتداء والكتاب خبره . ويكون الكتاب عطف البيان الذي يقوم مقام النعت . وهدى خبرا ويكون « لا ريب فيه » الخبر .

والكوفيون يقولون الهاء العائدة الخبر . والوجه السادس : ان يكون الخبر « لا ريب فيه» لان المعنى لا شك حق. ويكون التمام على هذا « لا ريب » »(٢٦٤) .

وقد اخذ ابو البركات اربعة من هذه الاوجه فقال :

(ذلك : في موضع رفع من اربعة اوجه : الاول : ان يكون مبتدا والتاب خبره. والثاني ان يكون خبر مبتدا مقدر وتقديره: هو ذلك الكتاب . والثالث : ان يكون التاب بدلا من ذلك . والرابع : ان يكون عطف بيان »(٢٦٥) .

(٣) اما« هدى» في قوله تعالى:« فيه هدى للمتقين »(٢٦٦). ففيه ثمانية اوجه عند النحاس : (يكون في موضع رفع خبرا من ذلك . وعلى اضمار مبتدا . وعلى ان يكون خبرا بعد خبر . وعلى ان يكون رفعا بالابتداء. قال ابو اسحاق(٢٦٧): يكون المعنى فيه هدى ولا ريب التمام . فهذه اربعة اوجه في الرفع . ويكون على وجه خامس هو ان يكون ردا على موضع لا ريب فيه اي حق هدى . ويكون نصبا على الحال من ذلك . ويكون حالا من الكتاب ويكون حالا من الهاء »(٢٦٨) .

وقد اخذ ابو البركات معظم هذه الاوجه فقال : (هدى: يحتمل ان يكون في موضع رفع ونصب ، فالرفع من اربعة اوجه: الاول : ان يكون خبر مبتدا مقدر تقديره هو هدى . والثاني : ان يكون خبرا بعد خبر . فيكون ذلك مبتدا والكتاب عطف بيان « ولا ريب فيه » خبر اول . وهدى خبر ثان . الثالث : ان يكون مبتدا وفيه خبره والوقف على هذا القول « لا ريب» . او من الكتاب او من الضمير في فيه »(٢٦٩).

والرابع ان يكون مرفوعا بالظرف ، والنصب على الحال من ذا.

ثانيا : التأثر ببيان اوجه القراءات

ومن نواحي تأثر كتاب اعراب القرآن في كتاب « البيان » ناحية القراءات . فابو البركات اثار القراءات وناقشها في جميع المواضع التي ناقشها النحاس . وترك المواضع التي تركها . وكل ما جاء من وجوه القراءات وما فيها من وجوه الاعراب عند ابي البركات فهو من كتاب النحاس .. والذي فعله ابو البركات هو زيادة وجه من وجوه القراءات المتعددة او حذف وجوه . والحالة الاخيرة هي اكثر من الاولى اذ النحاس مقرىء معروف وواسع الاطلاع في كل موضوع تناوله وكتب فيه.

فمثال الحالة الاولى ، ما ذكره النحاس في قراءات «مالك» من قوله تعالى « مالك يوم الدين » من سورة الفاتحة ، فانه يقال : (مالك ، وملك وملك ومليك . وفيه من العربية خمسة وعشرون وجها يقال : ملك يوم الدين على النعت . والرفع على اضمار مبتدا والنصب على المدح وعلى النداء وعلى الحال وعلى النعت على قراءة من قرا « ربِّ العالمين » فهذه ستة اوجه. وفي ملك مثلها وفي مليك مثلها ، فهذه اربعة وعشرون وجها . والخامس والعشرون روي عن ابي حيوة شريح بن يزيد انه قرا : « ملكَ يومَ الدين »(٢٧٠) .

---

(٢٥٩) اي من قوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم .. »

(٢٦٠-٢٦١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ١ .

(٢٦٢) البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٠-٤١ .

(٢٦٣) سورة البقرة آية : ٢ .

(٢٦٤) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب .

(٢٦٥) البيان ١/٤٤ .

(٢٦٦) سورة البقرة آية : ٢ .

(٢٦٧) اي الزجاج .

(٢٦٨) اعراب القرآن لوحة ٤ : ١ .

(٢٦٩) البيان ١/٤٥ .

(٢٧٠) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب .

وقد اخذ ابو البركات هذه القراءات باوجهها الاعرابية ، وبجزئياتها ولم يزد عليها الا وجها واحدا ، وليس هـــذا حسب بل كان منهجه اتباعا لمنهج النحاس ، قال ابو البركات : (وفي مالك خمس قراءات وهي : مالك ، وملك ، وملك ، وملِيك ، وملاك . وفيها في العربية : احد وثلاثون وجها : يقال مالك بالجر على البدل ، والرفع على تقدير مبتدا ، والنصب على المدح ، وعلى النداء وعلى الحال ، وعلى البدل على قراءة من قرا . رب العالمين بالنصب فهذه ستة اوجه . وفي «ملك» مثلها . فهذه خمس قراءات في كل قراءة ستة اوجه ، وخمسة في ستة ثلاثون ، والاحد والثلاثون قراءة ابي حيوة : « ملك يوم الدين »(٢٧١) .

ومثال الحالة الاخيرة ما جاء عن قراءات « أانذرتهم » في قوله تعالى : « ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون »(٢٧٢) . قال النحاس: (أانذرتهم فيه ثمانية اوجه: اجودها عند الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية وتحقيق الاولى وهي لغة قريش وسعد بن بكر وكنانة . وهي قراءة ابي عمرو واهل المدينة والاعمش : « أانذرتهم » . قال ابن كيسان وروى عن ابن محيصن انه قرا بحذف الهمزة الاولى : سواء عليهم انذرتهم .

وروي عن ابن ابي اسحاق انه قرا انذرتهم ، حقـــق الهمزتين وادخل بينهما الفا لئلا يجمع بينهما . قال ابو حاتم: ويجوز ان يدخل بينهما الفا ويخفف الثانية وابو عمرو ونافع يفعلان ذلك كثيرا . وقرا حمزة وعاصم والكسائي بتحقيـــق الهمزتين : أانذرتهم وهو اختيار ابي عبيد . فهذه خمســة اوجه . والسادس قاله الاخفش ، قال : ويجوز ان تخفف الاولى من الهمزتين ... الخ ..)(٢٧٣) .

اما ابو البركات فقال : (يجوز في « أانذرتهم » ســتة اوجه : الاول : أانذرتهم بهمزتين . الثاني : أانذرتهم بتحقيق الاولى وتخفيف الثانية .. والثالث : أاانذرتهم بادخال الف بين الهمزتين وتحقيقهما . والرابع أاانذرتهم بادخال الف بين الهمزتين وتحقيق الاولى وتخفيف الثانية . والخامس : عليهم انذرتهم بحذف الهمزة الاولى والقاء حركتهـــا على الميم . السادس انذرتهم بهمزة واحدة)(٢٧٤) .

والمثال الآخر هو قراءات « فيه » من قوله تعالى : « فيه هدى للمتقين »(٢٧٥) . قال النحاس : (وفي الهاء خمسة اوجه: اجودها فيه هدى . ويليه فيه هدى بضم الهاء وهي قراءة الزهري . ويليه : فيهي هدى باثبات الياء ، وهي قراءة ابن كثير . ويجوز « فيهو هدى للمتقين » ويجوز فيه هـــدى مدغما والاصل فيهو هدى)(٢٧٦) .

اما ابو البركات فقال: (وفي « فيه » قراءتان مشهورتان: فيه بكسر الهاء من غير ياء . وفيهي باثبات الياء. والاصل في «فيهي» فيهو بضم الهاء واثبات الواو الا انه كسرت الهاء لمكان الياء . وقراءة من قرا فيه اوجه من قراءة من قرا « فيهي »)(٢٧٧) . ويبدو ان ابا البركات غالبا ما يحذف اسماء القراء .

(٢٧١) البيان ١/٣٥-٣٦ .
(٢٧٢) سورة البقرة آية : ٦ .
(٢٧٣) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب .
(٢٧٤) البيان ١/٥٠ .
(٢٧٥) سورة البقرة آية : ٢ .
(٢٧٦) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب .
(٢٧٧) البيان ١/٤٤-٤٥ .

ثالثا : التأثر ببيان الخلافات النحوية

ويتابع ابو البركات النحاس حين يبين الخلافات النحوية في موضوع من موضوعات الاعراب ويترك ما يتركه .

ومن الامثلة التي تابعه فيها بيان النحاس لاختلاف النحاة في اعراب موضع الباء من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال النحاس : (وموضع الباء وبعدها عند الفراء نصب بمعنى ابتدات بسم الله الرحمن الرحيم ، وابتدىء بسم الله . وعند البصريين رفع بمعنى ابتدائي بسم الله)(٢٧٨) .

وتابعه ابو البركات فقال : اختلف النحويون في موضع الجار والمجرور على وجهين : فذهب البصريون: الى انه في موضع رفع ، لانه خبر مبتدا محذوف وتقديره : ابتدائي بسم الله الرحمن الرحيم . وذهب الكوفيون الى انه نصب بفعل مقدر وتقديره ابتدات بسم الله)(٢٧٩) .

ومما يؤيد متابعة ابي البركات للنحاس ان هذه المسالة لا توجد في كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » .

ومن المسائل الخلافية التي نقلها من النحاس ولا توجد في «الانصاف» الخلاف في اصل (اول) .

فعند الحديث عن اعراب قوله تعالى : « ولا تكونوا اول كافر به »(٢٨٠) . قال النحاس : (اول عنـد سيبويه مما لم ينطق منه بفعل . وهو على افعل . عينه وفاؤه واو . وانما لم ينطق منه بفعل لئلا يعتل من جهتين .. وهذا مذهب البصريين .

وقال الكوفيون : هو من « وال »(٢٨١) . ويجوز ان يكون من « أال » . فان كان من « وال فالاصل فيه « أوال » . ثم خففت الهمزة فقلت : « اول » كما تخفف همزة خطيئة ، فتقول : خطية . وان كان من أال فالاصل فيه أول ثم ابدلت من الاول واوا لانه لا ينصرف)(٢٨٢) .

وقد تابعه ابو البركات فقال : (اول وزنه افعل ، فاؤه وعينه واو ولم تنطق العرب منه بفعل) .

وذهب الكوفيون الى انه « افعل » من « وأل » واصله اوال فخففت الهمزة الثانية وابدلت واو وادغمت الاولى فيها . كما قالوا في مقروءة : مقروة ، وفي مخبوءة : مخبوة)(٢٨٣) .

رابعا : المتابعة في التعليلات اللغوية والنحوية

ومن انواع متابعة ابي البركات للنحاس انه اخذ تعليلاته اللغوية والنحوية ، ولم يغير فيها ولم يضف الا اشياء ليســت ذات بال . ومن تلك المسائل الكثيرة التي تابع فيها النحاس :

(١) تعليل ضم واو « اشتروا » من قوله تعالى « اشـتروا الضلالة بالهدى »(٢٨٤) .

قال النحاس (وفي ضم الواو اربعة اقوال : قال سيبويه: انما ضمت فرقا بينها وبين الواو الاصلية نحو : « وان لو

(٢٧٨) اعراب القرآن لوحة ٢ : أ .
(٢٧٩) البيان ١/٣١-٣٢ .
(٢٨٠) سورة البقرة آية ٤١ .
(٢٨١) وال بمعنى نجا .
(٢٨٢) اعراب القرآن لوحة ١٠ : أ .
(٢٨٣) البيان ١/٧٨ .
(٢٨٤) سورة البقرة آية : ١٦ .

استقاموا »(٢٨٥) . قال الفراء : كان يجب ان يكون قبلها واو مضمومة لانها واو جمع فلما حذفت الواو التي قبلها واحتاجوا الى حركتها حركوها بحركة التي حذفت . قال ابن كيسان : الضمة في الواو اخف من غيرها لانها من جنسها . قال ابو اسحاق : هي واو جمع حركت بالضم كما فعل في « نحن » . وقرا ابن ابي اسحاق ويحيى بن يعمر : « اشتروا الضلالة » على اصل التقاء الساكنين . وروى ابو زيد الانصاري عن قنعب ابي السمال العدوي(٢٨٦) انه قرا : اشتروا الضلالة بفتح الواو لخفة الفتحة وان قبلها مفتوحا . واجاز الكسائي اشتروا بالهمز كما يقال اقتت وادؤد . قال ابو جعفر : وهذا غلط لان همز الواو اذا انضمت انما يجوز فيها اذا انضمت لغير علة »(٢٨٧) .

وقد تابعه ابو البركات فقال : (وحركت الواو لالتقاء الساكنين ، فرقا بين واو الجمع والواو الاصلية ، نحو : « لو استطعنا» ، وكانت الضمة اولى لثلاثة اوجه : انها : واو جمع، فضمت كما ضمت النون في « نحن » ، انها حركت بمثل حركة الياء المحذوفة قبلها . لان الضمة في الواو اخف من الكسرة التي هي الاصل ، لانها من جنسها . وقد قريء بالكسر على الاصل . وقريء بالفتح طلبا للخفة . واجاز الكسائي همزها لانضمامها . وهو ضعيف لان الواو انما تقلب همزة اذا انضمت ضما لازما ، وهذه ضمة عارضة لالتقاء الساكنين ، فلا تقلب لاجلها همزة »(٢٨٨) .

والمثال الثاني : تعليل مجيء « سمع » بلفظ المفرد في قوله تعلى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم »(٢٨٩) ، وعدم مجيئه بلفظ الجمع .

قال النحاس : (لم لم يقل على اسماعهم وقد قال على قلوبهم ؟ ففيه ثلاثة اجوبة : منها ان السمع مصدر فلم يجمع. وقيل هو واحد يؤدى عن جميع . وقيل : التقدير على مواضع سمعهم »(٢٩٠) .

وقال ابو البركات : (انما وحد سمعهم ولم يجمعه كقلوبهم وابصارهم لثلاثة اوجه : الاول : ان السمع مصدر ، والمصدر اسم جنس يقع على القليل والكثير ولا يفتقر الى التثنية والجمع . والثاني : أن يقدر مضاف على لفظ الجمع ، والتقدير : على مواضع سمعهم . فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه . الثالث : أن يكون اكتفى باللفظ المفرد لما اضافه الى الجمع لان الاضافة الى الجمع يعلم بها ان المراد به الجمع »(٢٩١) .

والمثال الثالث هو من النحو . وهو تعليل ضم نون «نحن»: قال النحاس : (فاما ضم « نحن » ففيه اقوال للنحويين ، قال هشام الاصل : نحنْ قلبت حركة الحاء على النون واسكنت الحاء . وقال محمد بن يزيد : نحن مثل قبل وبعد لانها متعلقة بالاخبار عن اثنين او اكثر . قال احمد بن يحيى : هي مثل حيث تحتاج الى شيئين بعدها . قال ابو اسحاق الزجاج : نحن لجماعة ومن علامة الجماعة الواو ، والضمة من جنس الواو . فلما اضطروا الى حركة « نحن » لالتقاء الساكنين حركوها بما يكون للجماعة . قال : ولهذا ضموا واو الجميع»(٢٩٢) .

وتابعه ابو البركات فقال : (ونحن ضمير مرفوع منفصل ، وهو مبني لانه مضمر ، وبني على حركة لالتقاء الساكنين .وبني على الضم لانه يقع للجمع . والواو من علامات الجمع . والضم اخو الواو فكان الضم اولى . وقيل : هو من علامات المرفوع فحرك بما يشبه الرفع وهو الضم . وقد قيل فيه عدة اقاويل »(٢٩٣) .

خامسا : المتابعة في التفاصيل الاعرابية

ومن مظاهر تاثر كتاب « البيان » باعراب القرآن المتابعة في تفاصيل الاعراب .

ومن الامثلة على ذلك اعراب قوله تعالى : « الا انهم هم المفسدون »(٢٩٤) .

قال النحاس في اعراب هذه الاية : (كسرت ان لانها مبتداة . قال علي بن سليمان : يجوز فتحها كما اجاز سيبويه: حقا انك منطلق . بمعنى الا . « والهاء والميم » اسم ان . و « هم » مبتدا . والمفسدون : خبر المبتدا ، والمبتدا وخبره: خبر ان . ويجوز ان يكون توكيدا للهاء والميم ، ويجوز ان تكون فاصلة »(٢٩٥) .

وقد تابعه ابو البركات فقال : (كسرت ان لانها مبتداة. ويجوز ان تفتح اذا جعلت « الا » بمعنى حقا . و « هم المفسدون » : يجوز أن يكون هم مبتدا والمفسدون خبرا ، والجملة من المبتدا والخبر في موضع رفع خبر ان . ويجوز ان يكون هم فصلا لا موضع لها من الاعراب ، أو تكون توكيدا للهاء والميم في انهم . والمفسدون خبر ان »(٢٩٦) .

والخلاصة ان ابا البركات عبدالرحمن الانباري تاثر بكتاب « اعراب القرآن » للنحاس في النواحي الاتية :

منهج الاحتمالات النحوية .. وبيان اوجه القراءات ... وبيان الخلافات النحوية .. والمتابعة في التعليلات اللغوية والنحوية .. والمتابعة في التفاصيل النحوية .

(٢) بين النحاس والقرطبي (ت ٦٧١)
او
اثر « اعراب القرآن »
و « معانيه » في تفسير القرطبي

« الجامع لاحكام القرآن » لابي عبدالله محمد بن احمد القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ) من دراسات القرآن المتعمقة

---

(٢٨٥) سورة الجن آية : ١٦ .
(٢٨٦) ابو السمال قعنب البصري العدوي له اختيار في القراءة يعد من الشواذ رواه عنه ابو زيد الانصاري . اورد ابن جني بعض حروفه (ينظر : المحتسب ٥٤/١ وطبقات القراء ٢٧/٢) .
(٢٨٧) اعراب القرآن لوحة ٥ : ب .
(٢٨٨) البيان ٥٨/١ .
(٢٨٩) سورة البقرة آية : ٧ .
(٢٩٠) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب .
(٢٩١) البيان ٥٢/١ .
(٢٩٢) اعراب القرآن لوحة ٥ : ا .
(٢٩٣) البيان ٥٧/١ .
(٢٩٤) سورة البقرة آية : ١٢ .
(٢٩٥) اعراب القرآن لوحة ٥ : ا .
(٢٩٦) البيان ٥٧/١ . (فصلا ، اي : ضمير فصل) .

والاساسية ومعنى اعتماده على النحاس الاعتماد الذي سنوضحه ان كتب الاخير كانت من المصادر المهمة لمثل كتاب القرطبي .

واكثر الاسماء التي ترددت في تفسيره ونسب اليها الاراء هي اسماء : الكسائي (ت ١٨٩هـ) والفـراء (ت ٢٠٧هـ) والاخفش الاوسط (ت ٢١٥ هـ) وابي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) والنحـاس (ت ٣٣٨هـ) والمهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ) ومكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧ هـ) وابن عطية (ت ٥٤١هـ) .

ولكن يبدو ان جميع الاسماء التي سبقت النحاس ، وترددت في تفسير القرطبي ، ماخوذة من كتابي النحاس : اعراب القرآن ومعاني القرآن ، كما سيتضح من الامثلة .

كما ان اقوال النحاس في كتابه الاول اكثر ترددا من اي كتاب بمائله ، فقد اعتمد عليه القرطبي في الجزء الاول من تفسيره الثنتين وعشرين مرة ، واعتمد عليه في الجزء الثاني تسع عشرة مرة . ويمكن ان تقاس بقية الاجزاء على هذين الجزاين .

وبالرغم من ذكره كتابي النحاس فانه نقل منهما احيـانا دون ان يذكر ذلك .

ففي شرح معاني الرحمن والرحيم نقل من كتاب معـاني القرآن دون ان يشير(٢٩٧) .

وفي تعليل الجمع بين الرحمن والرحيم نقل منه والظاهر ان اسماء العلماء والنحاة الذين استشهد باقوالهم امثال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وقطرب والمبرد انما نقلها من معاني القرآن للنحاس(٢٩٨) .

وفي وجوه القراءات في « مالك » من قوله تعالى : مالك يوم الدين » في سورة الفاتحة نقل المادة كلها من « اعراب القرآن » للنحاس دون ان يشير(٢٩٩) .

وفي وجوه اعراب « ما بعوضة » في قوله تعالى : « ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة مما فوقها »(٣٠٠) ، نقل القرطبي ثلاث صفحات من اعراب القرآن للنحاس ، دون ان يشير(٣٠١) .

ولم يقتصر اعتماد « القرطبي » على النحاس في مادةالاعراب والمعاني فقط ، بل اخذ مادة لغوية كبيرة ، واخذ منه مـادة كبيرة تتعلق بموضوعات القراءات . واعتمد على آرائه في حل بعض المشكلات اللغوية والنحوية .

والمهم ان « القرطبي » اعتمد على اقوال النحاس في كل هذه النقاط التي اشرت اليها ، كانها مسلمات ، لانه لم يعترض على شيء منها .

وساعطي لكل نقطة مثلا يوضحها ...

(١) المعاني بين القرطبي والنحاس

ففي شرح معاني « الرحمن » و « الرحيم » وتعليل الجمع بينهما قال القرطبي : (زعم المبرد فيما ذكره ابن الانبـاري في كتاب الزاهر له ان « الرحمن » اسم عبراني فجاء معـه ب « الرحيم » .

قال ابو اسحاق الزجاج في معاني القرآن : قال احمد بن يحيى : الرحيم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما . وهذا القول مرغوب عنه .

وقال ابو العباس : النعت قد يقع للمدح كما تقول : قال جرير الشاعر .

وروى مطرف عن قتادة في قول الله عز وجل : « بسم الله الرحمن الرحيم » قال : مدح نفسه .

قال ابو اسحاق : هذا قول حسن .

وقال قطرب : يجوز ان يكون جمع بينهما للتوكيد .

قال ابو اسحاق : وهذا قول حسن ، وفي التوكيد اعظم الفائدة . وهو كثير في كلام العرب ويستغنى عن الاستشهاد . والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد : وانه تفضل بعـد تفضل وانعام بعد انعام ، وتقوية لمطامع الراغبين ، ووعـد لا يخيب آمله(٣٠٢) .

ثم قال القرطبي : واختلفوا هل هما بمعنى واحد ؟ اي (الرحمن والرحيم) او بمعنيين ؟

(فقيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم . وقـال العرزمي(٣٠٣) : الرحمن بجميع خلقه في الامطار ونعم الحواس والنعم العامة . والرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقـان احدهما ارق من الآخر)(٣٠٤) .

وهذان النصان جل ما جاء فيهما ماخوذ من معاني القرآن للنحاس دون اشارة . فقد قال النحاس : (ويسال عن التكرير في قوله عز وجل الرحمن الرحيم ؟ فروي عن ابن عباس انه قال: الرحمن الرحيم : اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر ، فالرحمن الرقيق والرحيم العاطف على خلقه بالرفق . قال محمد ابن كعب القرظي : الرحمن بخلقه ، الرحيم بعباده فيمـا ابتداهم به من كرامته وحجته . وقال العرزمي : الرحمـن بجميع الخلق الرحيم بالمؤمنين . وقال ابو عبيدة هما من الرحمة كقولهم ندمان ونديم . قال قطرب : يجوز ان يكون جمع بينهما للتوكيد . وهذا قول حسن وفي التوكيد اعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب يستغنى عن الاستشهاد والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد : انه تفضل بعد تفضل وانعام بعد انعام وتقوية لمطامع الراغبين ووعد لا يخيب آمله)(٣٠٥) .

---

(٢٩٧) ينظر تفسير القرطبي ١٠٤/١ ومعاني القرآن للنحاس ورقة٢ : ب ، ٣ : أ .
(٢٩٨) ينظر تفسير القرطبي ١٠٤/١ ومعاني القرآن للنحـاس ورقة ٢ : ب .
(٢٩٩) تفسير القرطبي ١٣٩/١ واعراب القرآن لوحة ٢ : ب .
(٣٠٠) الآية ٢٦ من سورة البقرة .
(٣٠١) تفسير القرطبي ٢٤١/١-٢٤٤ واعراب القرآن لوحة٧:ب.
(٣٠٢) تفسير القرطبي ١٠٤/١ .
(٣٠٣) العرزمي : عبدالملك بن ابي سليمان العرزمي . كما في تفسير ابن ابي حاتم .
(٣٠٤) تفسير القرطبي ١٠٥/١ .
(٣٠٥) معاني القرآن الورقة ٢ : ب .

(٢) الاعراب بين القرطبي والنحاس

ففي اعراب قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات »(٣٠٦) . قال القرطبي : (سبع : منصوب على البدل من الهاء والنون . اي : فسوى سبع سموات . ويجوز ان تكون مفعولا على تقدير يسوى منهن(٣٠٧) سبع سموات ، كما قال تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلا » اي : من قومه . قاله النحاس(٣٠٨) .

(٣) مادة القراءات عند القرطبي والنحاس

اما في مادة القراءات وتفاصيلها وترجيحها او رفضها فقد اعتمد القرطبي على « اعراب القرآن » للنحاس ، وقد صرح القرطبي بنقله في جل تلك المواضع .. ولكنه يشير الى جزء يسير فقط ..!

ففي بيان القراءات في قوله تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس »(٣٠٩) قال القرطبي : (قرا جمهور الناس شهرُ بالرفع، على انه خبر ابتداء مضمر ،اي ذلكم شهر او المفترض عليكم صيامه شهر رمضان.. وقيل ارتفع على انه مفعول ما لم يسم فاعله بـ « كتب » اي كتب عليكم شهر رمضان وقرا مجاهد وشهر بن حوشب : شهر بالنصب . قال الكسائي : المعنى كتب عليكم الصيام وان تصوموا شهر رمضان ...)(٣١٠) .

كل هذا النص ماخوذ من اعراب القرآن للنحاس(٣١١) ، ولكن لم يشر اليه القرطبي ، بل اشار الى راي النحاس في الجزء الذي يتممه فقال : (وقال النحاس لا يجوز ان ينتصب شهر رمضان بـ « تصوموا » ، لانه يدخل في الصلة ثم يفرق بين الصلة والموصول ، وكذلك ان نصبته بالصيام ، ولكن يجوز ان تنصبه على الاغراء ، اي : الزموا شهر رمضان ، وصوموا شهر رمضان ، وهذا بعيد ايضا لانه لم يتقدم ذكر الشهر فيغرى به)(٣١٢) .

غير انه في بيان القراءات في الجزء الآخر من آية الصيام السابقة (ولتكملوا العدة) ، يصرح بالنقل عن النحاس بجزء اكبر من الجزء السابق . وذلك ضمن النص الآتي : (قرا ابو بكر عن عاصم وابو عمرو ـ في بعض ما روى عنه ـ والحسن وقتادة والاعرج : ولتكملوا العدة والباقون بالتخفيف . واختار الكسائي التخفيف . قال النحاس : هما لغتان بمعنى واحد ، كما قال عز وجل « فمهل الكافرين امهلهم رويدا» . ولا يجوز ولتكملوا باسكان اللام والفرق بين هذا وبين ما تقدم ان التقدير ويريد لان تكملوا ولا يجوز حذف ان والكسرة . هذا قول البصريين .. وهذه اللام هي الداخلة على المفعول كالتي في قولك: ضربت لزيد ، المعنى . ويريد اكمال العدة . وقيل : هي متعلقة بفعل مضمر تقديره لان تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصة . وهذا قول الكوفيين ، وحكاه النحاس عن الفراء . قال النحاس: « وهذا قول حسن ، ومثله : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » . اي : وليكون من الموقنين فعلنا ذلك »(٣١٣) .

والنص السابق باستثناء بعض التفاصيل الجزئية ، هو في اعراب القرآن للنحاس(٣١٤) .

اما مشكلات القراءات فقد اعتمد فيها على النحاس اكثر من اعتماده على غيره . بل واثار ما اثاره النحاس من مشكلات وسكت عما سكت عنه(٣١٥) .

ولكني اكتفي بمثال واحد تابع فيه القرطبي النحاس وقلما تابعه « مكي » كما سيشير النص عند تفسير قوله تعالى « واذ واعدنا موسى اربعين ليلة »(٣١٦) .

قال النحاس : (وقرا ابو عمرو وابو جعفر(٣١٧) وشيبة « وعدنا » بغير الف ، وهو اختيار أبي عبيد ، وانكر«واعدنا» لان المواعدة عنده انما تكون من البشر ، فاما الله عز وجل فانما هو المنفرد بالوعد والوعيد وعلى هذا وجدنا القرآن كقوله : « وعدكم وعد الحق » ، « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . قال ابو جعفر(٣١٧) : وكلام ابي عبيد هذا غلط بيّن لانه ادخل بابا في باب وانكر ما هو احسن واجود ، واعدنا احسن ، وهي قراءة مجاهد والاعرج وابن كثير ونافع والاعمش وحمزة والكسائي . وليس قوله سبحانه : « وعد الله الذين آمنوا » من هذا في شيء ، لان « واعدنا موسى » هي من باب المواقاة وليس من باب الوعد والوعيد في شيء . وانما هو من قولك : موعدك يوم الجمعة . والفصيح من هذا ان يقال: « واعدته »)(٣١٨) .

اما نص القرطبي عند هذه الآية فهو : (قرا ابو عمرو : وعدنا بغير الف . واختاره ابو عبيد ورجحه ، وانكر « واعدنا » قال : لان المواعدة انما تكون من البشر ، فاما الله جل وعز فانما هو المنفرد بالوعد والوعيد . وعلى هذا وجدنا القرآن ، كقوله عز وجل : « وعدكم وعد الحق » . وقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » . وقوله : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم » . قال مكي : وايضا فان ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى . وليس فيه وعد من موسى فوجب حمله على الواحد وقال مكي : المواعدة اصلها من اثنين. وقد تاتي المفاعلة من واحد في كلام العرب. قالوا : داويت العليل

---

(٣٠٦) سورة البقرة آية : ٢٩ .

(٣٠٧) في المطبوع من تفسير القرطبي (بينهن) ، والذي اثبتناه يتفق مع السياق .

(٣٠٨) تفسير القرطبي ٢٦٠/١ واعراب القرآن لوحة ٨ : أ وينظر تصريح القرطبي بنقل مادة اعرابية عن النحاس في تفسير القرطبي ٢٦١/١ و ١٢٣/٢ ومواضع كثيرة .

(٣٠٩) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٣١٠) تفسير القرطبي ٢٩٦/٢ .

(٣١١) اعراب القرآن لوحة ٢٠ : ب .

(٣١٢) تفسير القرطبي ٢٩٦/٢ واعراب القرآن لوحة ٢٠ : ب

(٣١٣) تفسير القرطبي ٣٠٥/٢ .

(٣١٤) اعراب القرآن لوحة ٢١ : أ .

(٣١٥) ينظر تفسير القرطبي ٢٢٢/١ ، ٣٩٤ ، ٥/٢ ، ٤١٤ وغيرها .

(٣١٦) سورة البقرة آية : ٥١ .

(٣١٧) ابو جعفر الاول هو يزيد بن القعقاع احد القراء العشرة (ت ١٣٠هـ) اما الآخر فهو النحاس .

(٣١٨) اعراب القرآن لوحة ١٠ : ب .

وعالجت اللص والفعل واحد . فيكون لفظ الواعدة من الله خاصة لموسى كمعنى وعدنا ، فتكون القراءتان بمعنى واحد ، والاختيار: واعدنا بالالف لانه بمعنى وعدنا في احد معنييه ، ولانه لابد لموسى من وعد او قبول يقوم مقام الوعد فتصح المفاعلة(٣١٩).

وهذا النص يدل دلالة واضحة على أن كلا من القرطبي ومكي قد ارتضيا رأي النحاس وتعليله لهذه المشكلة من مشكلات اللغة المتصلة بالقراءات .. وليس هذان وحدهما ، بل تابعه غيرهما كما في النصوص الاخرى التي نقلها القرطبي واعرضنا عنها بعدا عن الاطالة(٣٢٠) .

والخلاصة أن القرطبي اعتمد على كتابي « اعراب القرآن» و « معاني القرآن » للنحاس ، في بيان لغات القرآن ومعانيه وما جاء فيه من قراءات وما ورد فيها من تعليلات وآراء . واعتماده على « اعراب القرآن » اكثر من اعتماده على « معانيه» ... واعتماده على كتابي النحاس يفوق اعتماده على أي مصدر آخر من مصادر اعراب القرآن ومعانيه قبل النحاس وبعده .

(٣١٩) تفسير القرطبي ١/٣٩٤ .
(٣٢٠) تفسير القرطبي ١/٣٩٤ وما بعدها .

المراجع

اولا : المخطوطات :

(١) اعراب القرآن لابي جعفر النحاس . مخطوطة مكتبة فاتح باسطنبول (رقم ٨٨) .

(٢) تفسير ابن ابي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ،مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٥ تفسير .

(٣) تفسير ابن المظفر السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٣٦ تفسير .

(٤) المبهج في القراءات لسبط الخياط البغدادي (ت٥٤١هـ)، مخطوط دار الكتب الالمصرية رقم ٦٨١ قراءات .

(٥) معاني القرآن للاخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) ، مخطوط مدينة مشهد بايران ٦٩/٣ رقم ٢٢٠ (مصورة الزميل الدكتور كامل حسن البصير) .

(٦) معاني القرآن للزجاج (ت ٣١١هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٢٤٧ تفسير .

(٧) معاني القرآن للنحاس ، مخطوط دار الكتب رقم ٣٨٥ تفسير .

ثانيا : المطبوعات

(٨) الابانة عن معاني القراءات لمكي بن ابي طالب (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق الدكتور عبدالفتاح شلبي ، القاهرة ١٩٦٠ .

(٩) الاعلم على سيبويه (تحصيل عين الذهب) للاعلم الشنتمري . مطبوع بهامش كتاب سيبويه ، ط بولاق ١٣١٨ هـ .

(١٠) انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠ – ١٩٥٥ .

(١١) الانصاف في مسائل الخلاف ، لابي البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، ط القاهرة ١٩٥٣ .

(١٢) الايضاح في علل النحو للزجاجي (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق الاستاذ مازن المبارك . ط القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩ م .

(١٣) البحر المحيط لابي حيان النحوي (ت ٧٤٥ هـ) ، نشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض (بدون تاريخ) .

(١٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ م .

(١٥) البيان في غريب اعراب القرآن لابي البركات الانباري ، تحقيق الدكتور طه عبدالحميد ، ط القاهرة ١٩٦٩ م .

(١٦) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، ط القاهرة ١٩٣١ .

(١٧) تاريخ علماء الاندلس تأليف ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ)، ط القاهرة ١٩٦٦ م .

(١٨) كتاب التفاحة في النحو لابي جعفر النحاس ، تحقيق كوركيس عواد ، ط بغداد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ م .

(١٩) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) لابي عبدالله محمد بن احمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) . ط دار الكتب المصرية ١٣٥١هـ/١٩٣٢م – ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

(٢٠) ابو جعفر النحاس ، مقال للدكتور عبدالله درويش،منشور بمجلة كلية الشريعة ببغداد العدد الثالث ١٩٦٦ – ١٩٦٧ .

(٢١) الجنى الداني في حروف المعاني ، لابن أم قاسم(ت٧٤٩هـ)، تحقيق الدكتور فخرالدين قباوه وزميله ، ط حلب ١٩٧٣ م .

(٢٢) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، لعبدالقادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، ط بولاق ١٢٩٩هـ .

(٢٣) الخصائص ، لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق الاستاذ محمد علي النجار ، ط دار الكتب‌المصرية ١٩٥٢ – ١٩٥٦ م .

(٢٤) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد احمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط مصر، ١٩٧٢ .

(٢٥) كتاب سيبويه ط بولاق ١٣١٨هـ .

(٢٦) شرح القصائد التسع المشهورات ، صنعة ابي جعفر النحاس ، تحقيق الاستاذ احمد خطاب ، ط بغداد ١٩٧٣.

(٢٧) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لابي احمد العسكري (ت ٣٨٢هـ) ، تحقيق عبدالعزيز احمد ، ط القاهرة ١٩٦٣ .

(٢٨) طبقات القراء (غاية النهاية) لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، تحقيق المستشرق برجشتراسر ، ط مصر ١٣٥١ هـ .

(٢٩) طبقات المفسرين ، للداودي (ت٩٤٥هـ) ، تحقيق الاستاذ علي محمد عمر ، ط القاهرة ١٩٧٢ .

(٣٠) طبقات النحويين واللغويين ، لابي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط القاهرة ١٩٥٤ .

(٣١) الفهرست ، لابن النديم ، تحقيق فوستاف فلوجل ط ليبزك ١٨٧١م .

(٣٢) فهرسة ابن خير الاشبيلي (ت٥٧٥هـ) ، مطبعة قومش بسرقسطة ١٨٩٣م .

(٣٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق الدكتور محيي‌الدين رمضان ط دمشق ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٣٤) لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) : ط بولاق ١٣٠٠ – ١٣٠٧ هـ .

(٣٥) ما يجوز للشاعر في الضرورة ، لابي عبدالله محمد بن جعفر القزاز القيرواني (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق المنجي الكعبي ط تونس ١٩٧١ .

(٣٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف وزميليه ط القاهرة ١٣٨٦هـ .

(٣٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية(ت٥٤١هـ): تحقيق الاستاذ احمد صادق الملاح ، ط القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٣٨) معجم الادباء : لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور احمد فريد رفاعي ، ط القاهرة ١٩٣٦ – ١٩٣٨م.

(٣٩) المفردات السبع لابي عمرو الداني : عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ) ، ط مصر (بدون تاريخ) .

(٤٠) معاني القرآن للفراء ، ط مصر ١٩٥٥ وما بعدها.

(٤١) المقتضب ، للمبرد : محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق الاستاذ محمد عبدالخالق عضيمة ، ط القاهرة ١٩٦٣ – ١٩٦٨م .

(٤٢) المنصف بشرح تصريف المازني ، لابن جني ، تحقيق الاستاذ ابراهيم مصطفى وزميله .

(٤٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ، تحقيق علي‌محمد البجاوي ، ط القاهرة ١٩٦٣م .

(٤٤) النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تصحيح الاستاذ علي محمد الضباع ، ط مصر (بدون تاريخ) .

(٤٥) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للمقرى(ت١٠٤١هـ) ط بيروت .

(٤٦) وفيات الاعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، ط مصر ١٩٤٨ م .